العدد الثالث

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٠٥

الاشتراكات

صـ	
١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش	
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف اليها أجرة البريد خارج القطر

جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ — يناير سنة ١٩٥٤

أواصر الجماعة المؤمنة

لابد للحق من جماعة تحمله وتحميه .

هذه الجماعة هى الطائفة التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله » .

والذى يربط هذه الطائفة هو الحق ؛ فوشائجها جميعاً تنبع عنه ، وقواها تلتق عنده ، ثم لايكون ظهورها حين تظهر إلا به : هوالذى يصنعها ، وهو الذى يجمعها ، وهو الذى يُظهرها ، ليس لها من دونه غاية ولاطريق .

وأواصر الجماعة المؤمنة فى كل عصر ثلاث :

آصرة الروح .

وآصرة الفكرة .

وآصرة التنظيم .

أما آصرة الروح فهى الآصرة التى تقوم وراء مظاهر الأشياء جميعا : وراء الشكل الذى قد يخدع ، ووراء الرأى الذى قد يختلف ، ووراء الأعمال التى قد تخطئ وقد تصيب .

العدد الثالث

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة:
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون: ٢٤٤٥٥

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربى
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
صـ
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ — يناير سنة ١٩٥٤

أواصر الجماعة المؤمنة

لابد للحق من جماعة تحمله وتحميه .

هذه الجماعة هى الطائفة التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله » .

والذى يربط هذه الطائفة هو الحق ؛ فوشائجها جميعاً تنبع عنه ، وقواها تلتقى عنده ، ثم لايكون ظهورها حين تظهر إلا به : هوالذى يصنعها ، وهو الذى يجمعها ، وهو الذى يُظهرها ، ليس لها من دونه غاية ولا طريق .

وأواصر الجماعة المؤمنة فى كل عصر ثلاث :

آصرة الروح .

وآصرة الفكرة .

وآصرة التنظيم .

أما آصرة الروح فهى الآصرة التى تقوم وراء مظاهر الأشياء جميعا : وراء الشكل الذى قد يخدع ، ووراء الرأى الذى قد يختلف ، ووراء الأعمال التى قد تخطئ وقد تصيب .

هى الآصرة التى يصنعها الحق لنفسه فى أنفس أصحابه ، فلا فضل لأحد فيها ، ويستأثر بها لذاته فلاينازعه فيها عرض من أعراض الدنيا جميعا « وألَّف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » .

هذه الآصرة هى نبع الحق وفيضه ، وهى السر الذى أشرق فى مجتمع مكة الممزع ، فآخى بين « العبد » بلال وأبى بكر « السيد » ، وجعلهما أخوين لايحول بين روحيهما مع نوّر الله حائل !

من أين جاءت هذه الآصرة ؟

وكيف أشرق سرها ؟

ذلك مايجب أن يعرفه أهل الحق دائما ، وهو موضع الأساس فى بنائهم ؛ إذا قوى قووا ، وإذا استقام استقاموا .

إن الأشياء كلها لاتعدو — بالنسبة للإنسان — أن تكون واحدة من ثلاث : شىء يريده ويسعى له ، وشىء يخافه ويدفعه ، وشىء لايبالى به . . . وإنما تتحرك نفسه حركتها بين هذه الثلاث . وقد جاء الدين ليتناول النفس فى حركتها هذه ؛ من وراء المؤثرات جميعاً ، فيجعل لحركتها أصلا واحدا تنبعث له ويغلب عليها ، أصلا ثابتا تعلو به النفس عن سائر الأشياء ، وتثبت به حركتها على مظاهرها . . . هذا الأصل هو : « خالق هذه الأشياء » ، هو الله سبحانه « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، ترتبط به مشاعر النفس كلها ، فالرجاء فيه « يرجون رحمته » ، والخوف منه « ويخافون عذابه » ، وهو مصدر الأشياء « الله يبدأ الخلق » ، ومصيرها كلها إليه « ثم يعيده ثم إليه ترجعون » .

ويمتاز هذا الأصل بقوته ، وبكفايته ، وبخلوده .

يمتاز بقوته وامتيازُه فيها رهيب .

ويمتاز بكفايته ، فليس له إلى أحد حاجة ، وليس للمستغنى به حاجة إلى أحد .

ويمتاز بخلوده . . . يُميت ويُحيى وهو وحده الذى لايموت .

وحسبك من قوته قوله : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم مافى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب

ولايابس إلافى كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ماجرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون . ثم رُدوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

إنها القوة التى تحكم كل شىء حتى خائنة الأعين وماتخفى الصدور !

وحسبك من كفايته قوله :

« ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

« أليس الله بكاف عبده » ؟



وليس يقصر عن إدراك هذه الكفاية إلا واهم مغرور « أمَّن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا فى غرور . أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجُّوا فى عُتوٍّ ونفور » .

وحسبك من خلوده قوله : « كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

وخلوده — سبحانه — هو وحده الخلود ، وليس لشخص ولا وطن ولا أمة من ذلك شىء ، وكل ماجرى به شعر الشعراء وأدب الأدباء من خلود هذه أو ذلك أو ذاك ، إنما هو نزوة الإعجاب وكذب اللغة والغفلة عن معنى الفناء ، الفناء الذى يهددها جميعاً مادام الموت قائماً على كل رأس ، وما دامت الساعة موشكة أن تقوم « كلا إذا دُكت الأرض دكا دكا ، وجاء ربك والملك صفًّا صفا ، وجىء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنَّى له الذكرى . يقول ياليتنى قدَّمت لحياتى » .

وحتى فى الجنة التى تنزلت بنعيمها آيات الكتاب ، لايزال خير ما فيها النظر إلى وجه الله الخالد الباقى . . . جاء فى صحيح مسلم عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ناد مناد : يا أهل الجنة : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ،

فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئا أحب من النظر إليه ، فلايلتفتون إلى شىء من النعيم ما داموا ينظرون إليه » .

يقابل ذلك شقاء الشاردين عن هذا الأصل الكريم ، الكافرين بالله سبحانه ، فإن أول عقوبة تنزل بهم هى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ثم يأتى بعد ذلك ما أعد لهم : « ثم إنهم لصالو الجحيم » !

أرأيت كيف يشد الحق أنفس أصحابه إلى أصل شامخ لاينازع ، وكيف يدفع ركبه إلى غاية رائعة دونها نعيم الجنة على جماله ؟ !

أوَتستطيع بعد ذلك أن تدرك الجلال الذى يحمله هتاف جندها « الله غايتنا » .

على أن هذه الغاية ذات طبيعة مستأثِرة ترفض الشركة ، وتنكر على صاحبها أن تتطلع نفسه إلى سواها ، فعنوانها : لا إله إلا الله ، ونبيّها قد أجاب الذى سأله : «يا رسول الله ، أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر[1] ؟ » بقوله « لاشىء له » ثلاث مرات . ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتُغِى به وجهه » .

وروى الإمام أحمد عن عطاء الخراسانى أنه قال : لقيت وهب بن منبّه وهو يطوف بالبيت ، فقلت له : حدثنى حديثا أحفظه عنك فى مقامى هذا وأوجز . قال نعم : أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود : «أما وعزتى وعظمتى لايعتصم بى عبد من عبيدى دون خلقى — أعرف ذلك من نيته — فتكيده السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجا . أما وعزتى وعظمتى لا يعتصم عبد من عبادى بمخلوق دونى — أعرف ذلك من نيته — إلا قطعت أسباب السماء من يده ، وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لاأبالى بأى وادٍ هلك » .

فإذا استقرت هذه الغاية فى الأنفس ، واستقامت النيات عليها ، فقد قامت حقيقة الربطة بين جنودها : يتآخون عليها ، ويتحابون بها ، ويؤدون حقوقها ، والرقيب عليهم فى كل ذلك عين الله الناظرة إليهم ، ولم يعد أحد قادراً على أن ينال منها بحيله لأن الذى استأثر بصنعها « وجه الله » لاحيلة أحد دونه ، ولم يعد يخشى عليها من

---

(١) أى أن يذكره الناس ويثنوا عليه .

خارج لأن الله كفيل أن يرد عن صنعته كل عادية ، وإنما يخشى عليها أن يأتيها البلاء من داخل ، وأن يزلزل الشيطان قواعدها الراسية ، وهو لا ينفذ إلى ذلك إلا من ثغرتين :

من المعاصى والذنوب ، فليحذرها أهل الحق أشد مما يحذرون عدوهم المسعور ، لأن معركتهم معه معركة بين طهر ودنس ، فإن تدنس طهرهم فقد خسروا المعركة وإن هم قتلوا عدوهم وأبادوه . . . وباب رحمة الله مفتوح بعد كل معصية « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

ومن الشرك بالله ، وأخطر الشرك أخفاه ، ومن الشرك الخفى أن تشرك بالله شيئاً من حظوظ نفسك من حيث لا تدرى ، وهو أخطر ما يكون على الذين لهم بالدين[1] علم ، وفى الجهاد له سابقة ... إن الشيطان لا يستطيع أن يدعو هؤلاء إلى أن يكفروا بشىء عرفوا وجه الحق فيه ، ولا أن يتخلوا عن عمل آمنوا به وأصروا عليه ، ولكنه يستطيع أن يأتيهم من الناحية الأخرى من حيث لا يدرون ، فيقول لأحدهم : « إنك عالم ، وذو فضل ، وذو سابقة ، هم أولاء الناس يستمعون إليك ، ويقرأون لك ، ويعجبون بك ... أنت ... أنت ... أنت » ولا يزال يلح عليه من كل جانب . ولذة « أنت » هذه لذة فاتنة ، وضراوتها قاسية ، ومزالقها شتى ، حتى إذا غلبه على أمره ، وأداره إلى نفسه الصغيرة يتعبد فى محرابها الحسيس ... لم يضره بعد ذلك علمه ولا سابقته مادام يعيش فى مثل جريمته التى ارتكبها هو أول مرة : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » بل إن علمه وسابقته حينئذ من أنفع جنده . روى أحمد فى كتاب الزهد « أن رجلا من بنى إسرائيل تعبد ستين سنة فى طلب حاجة فلم يظفر بها ، فقال فى نفسه : والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك ، فأتاه آت فى منامه قال له : أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة ؟ فإنه خير من عبادتك تلك السنين » .

* * *

ومع آصرة الروح ، وفى نورها ، آصرة ثانية تكمل فضل الله بها ، هى آصرة

(١) خاطرة العدد الماضى من « المسلمون » .

الفكرة التى أرسى الوحى أصولها وتنزل بأحكامها « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ، فإن الجماعة المؤمنة التى وثّقت آصرة الروح بين قلوبها ، قد وهب لها الله شريعة كاملة توثق بين عقولها ، وتجعلها تصدر دائماً عن موازين واحدة من أحكام ربها ، واجتمع لها ذلك فى مصدرين كريمين : كتاب الله وسنة رسوله ، ولم يتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعلن فى حجة الوداع أننا أمناء عليهما ، وأنّا لن نضل ما تمسكنا بهما .

وحين نقول الكتاب والسنة ، فليس معنى ذلك أنه يكفينا منهما مجرد الإيمان ، ولا أن نرددها فى هتاف ، ولا أن نحفظ منهما آيات وأحاديث فى المناسبات ؛ فإن جبريل حين ينزل من السماء لاينزل إلا لأمر جلل ، والآية حين تتنزل من السماء لاتتنزل لنحفظها فى مصحف مطبوع أو كتاب منمق أو مكتبات عفّى عليها التراب ، ولكن جبريل ينزل بها ليكون شأنها ما قال الله : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » وما أتعس قوما يقعد بهم ضعف الإيمان أو خمول الهمة عن أن يتعرفوا على ما رآه الله لهم . .

إن إيمانك بالوحى يقتضيك أمرين :

يقتضيك أولاً أن تنبعث إلى دراسة ما أنزله الله وبلغه نبيه ، وألا يفوتك من ذلك شيء تستطيعه ، وأن تستيقظ مشاعرك جميعاً حين تسمع أو تقرأ : قال الله أو قال الرسول ، لأنك حينئذ بإزاء حق يخاطب فطرتك وأمانة ستسأل عنها يوم يؤخذ بالنواصى والأقدام . وعلمك بذلك من خير قرباتك إلى الله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة[1] » ويقول : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى[2] » ، حتى إن السماء لتطالب الجماعة المؤمنة — والمعركة قائمة — أن ترصد للعلم فرقة تعكف عليه ، كى يظل كفاحها كفاح الجماعة الراشدة التى تعرف حكم الله فى كل شأنها « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » وجميل أن يستعمل القرآن لفظة « النَّفْر » لطلب العلم ، لأنه من أسباب الجهاد التى

---

(١) الطبرانى .

(٢) أبو أمامة : حسن صحيح

لا بد منها ، وليس معنى نفر هذه الطائفة أن يكون للعلم بطانة تعفيها الكتب من حمل السلاح ، ولكن معناها أن يكون العلم بأحكام الله ثغرة ترابط عليها الجماعة المؤمنة بمن تستنفره لها ، كل بدوره ، وكل بما يستطيع .

وثانى الأمرين فيما يقتضيه الإيمان بالوحى ، هو أن يستشعر المؤمن قداسة أحكام الله فلا يتكلم فى أمر لا يعلم حكم الله فيه ، ولا يتطاول على مسألة من مسائل الشريعة لا يفهمها ، ولا يظن أن الصفحات التى قرأها أو الخطب التى سمعها تؤهله ليكون ذا رأى فى دين الله يجترئ به على الفتيا ، وينسبه إلى الإسلام سذاجة أو ظلما ، فليس كل أمر يروقه شيئاً من الإسلام ولا بد ، فما أكثر ما زُيّن الباطل للناس فظنوه حقاً ، وإنما جاء الدين ليحكم أهواء الناس لا لتتحكم أهواء الناس فيه «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن » وليس كل أمر ينفر منه شيئاً يستحيل أن يقره الإسلام ، فما أكثر ما تنفر الأنفس من حق يثقل عليها ولا تعرف حكمة الله فيه « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .



وقد كان أسلافنا الأولون . . . على فضلهم الذى سبقوا فيه ، مثُلا تحتذى فى الورع الصارم مع علوم الإسلام . . . يقول عطاء بن رباح : أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليسأل عن شىء فيتكلم وإنه ليرعد » ؛ ويقول أبو الحسن الأزدى : « إن أحدهم ليفتى فى المسألة لو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر » — ومن طريف ما روى عن القاسم بن محمد أن سائلا سأله عن شىء فقال : لا أحسنه ، فقال له السائل : إنى جئتك لا أعرف غيرك . فقال : لا تنظر إلى طول لحيتى وكثرة الناس من حولى ، والله لا أحسنه ، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه : يا ابن أخى : الزمها فوالله ما رأيناك فى مجلس أنبل منك اليوم . فقال القاسم : والله لأن يقطع لسانى أحب إلى من أن أتكلم بما لا علم لى به » . وقد كان مالك رضى الله عنه يأتيه طالب الفتيا من أقصى المغرب إلى المدينة المنورة يستفتيه فيكون جوابه لست أدرى ، فيقول سائله لقد جئتك يا مالك من بلاد قصية فكيف تردنى بقولك لا أدرى ! فيرد مالك : يا سبحان الله : قلت لك لا أدرى ! ! . . وهكذا حفظ مالك للعلم حرمته ،

لحفظ له العلم مكانته فى أنفس طالبيه ، ولا يزال مذهبه مذهب أهل المغرب الذين كان حظ وافدهم من علم مالك الغزير : لا أدرى ! !

إن آصرة الفكرة « هذه » هى آصرة العقول بعد آصرة القلوب ، ورباطها رباط يمسكه وازع الدين العميق وتوثقه الاستزادة من المعرفة ؛ فكلما ازدادت الجماعة المؤمنة علما ازداد ما بينها من وشائج ، وكل فرد فيها مسئول أن يجند للدعوة سمعه وبصره وفؤاده « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » وهذه الثلاثة هى مصادر العلوم جميعاً : فبالسمع يستقبل كل ما ألقته إليه القرون من مواريث غالية وتاريخ ملىء ، وبالبصر يكتشف مكنونات العالم الذى يعيش فيه ، وبالفؤاد يظل موصول الوجدان بالملأ الأعلى ، غض العاطفة ، نقى الضمير .

إن ثروة الجماعة هى مجموع ما يرصده أفرادها للدعوة من قلوبهم وعقولهم ؛ فلينظر كل واحد منهم أين هو من دعوته ، وليعلم أن ثباته فى الصف هو بمقدار ثبات قلبه على الأصل الكريم الذى بايع عليه ، وثبات عقله على الوعى النامى فى أحضان عقل المجموعة الكبير ، وليجعل بين عينيه دائماً ما ورد فى الأثر «من أحب أن يعرف منزلته عند الله فلينظر أين منزلة الله عنده » ! !

* * *

والآصرة الثالثة هى آصرة التنظيم .

ذلك أن الدعوة إلى العمل فى كتاب الله دعوة خوطبت بها الجماعة « ولتكن منكم (أمة) يدعون إلى الخير » ، وخطاب التشريع فى القرآن « يا أيها الذين آمنوا » ولا بد لكل جماعة عاملة من نظام تسير به ، وهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا عليكم أحدكم » وهى إمرة تنظيم لا استعلاء ، ولذلك كانت طاعة هذا الأمير من طاعة الله مالم يأمر بمعصية طبعاً ، لأنها طاعة يستلزمها العمل لدعوة الله فى كل جماعة ، وبغيرها لا ينتظم عمل ، ولا تقوم للدعوة قائمة ، وكان الخروج عليها نقضاً لعرى الدعوة ، لأنه نقض لعرى جماعتها ، ويشتد فى ذلك نذير رسول الله وتوجيهه حتى ليقول ابن شريح : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

ومعنى التنظيم ، فضلا عن أنه شيء تُمليه حاجة كل عمل ، فهو سمة كل ظاهرة من ظواهر الكون الذى نعيش فيه ، ويكفيك فى هذا أن تتأمل أيَّة ظاهرة من هذه الظواهر – وكلها صنعة الله – لتشهد النظام الدقيق فيها جميعاً : تشهده فى عالم الحيوان « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » ، وتشهده فى عالم النبات « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » ، وتشهده فى عالم الأفلاك « لا الشمسُ ينبغى لها أن تدركَ القمرَ ولا الليل سابقُ النهار وكلٌّ فى فلك يسبحون » ، وتشهده فى كل خلق الله « ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » . وحريٌّ بالمؤمنين الذين أمرهم الله أن يتأملوا فى الكون « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » – أن يكون أثر هذا التأمل فيهم طبعاً يألف النظام ، وملكة تمليه ، وطمأنينة يلزم بها كل منهم مكانه الذى هيأه الله له ، لا ينزل عنه بتفريط فى أمانة الله عنده ، ولا يتجاوزه متطاولاً على ما ليس له ، وحرى بهم كذلك أن يحكمهم شعورهم بقهر الله من فوقهم ، وبالنظام الرتيب فى كل مظاهر إرادة الله من حولهم ، فلا يدع لنزق الهوى وخفة الرأى سبيلا إلى مقاومة سنن الله التى لا تقاوم ، سننه فى حياتهم : فإن غلبة النظام على الفوضى سنة ، وغلبة العلم على الجهل سنة ، وغلبة الخلق الكريم على الدناءة سنة ، وغلبة الوفاء على الغدر سنة ، كل هذه سنن أجراها فى حياة الناس الذى أجرى الشمس والقمر ، لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر كما لا ينبغى لسنة من هذه السنن أن تتخلف « ولن تجد لسنة الله تبديلا » وإنما نجحت شجرات النبوة فى أن ترسل ثمرها الحلو خلال التاريخ الطويل ، وفى أظلم العصور ، لأن كل واحدة منها كانت موصولة الجذور بهذه السنن ، فهى بذلك قدر من أقدار الله كالشمس والقمر ، لا يمكن إلا أن تقوم ، ولا يمكن لمقاوميها إلا أن يُصرعوا ، مهما نفثوا ومهما عبثوا « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ثم إنك إذا التفت إلى عبادات هذا الدين وجدتها

تدريبات على التنظيم لا تلبث — إن هى أديت على وجهها — أن تطبع المسلم بطابع النظام فى كل حياته ؛ فللصلاة مواقيت تؤدى فيها « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا » ، وحركات يجب أن تلتزم فمن نقص منها أو زاد عليها عامداً بطلت صلاته ، فإذا كانت صلاة جماعة تجلت روح النظام فى شريعة الإسلام أصيلة مدهشة . يقول على بن شيبان : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى خلف الصف وحده ، فوقف حتى انصرف الرجل فقال له : استقبل صلاتك فلا صلاة لمنفرد خلف الصف[1] » ، وهكذا ترفض السماء عبادة الشاذ عن الصف وإن كان يصلى . ثم تراه صلى الله عليه وسلم يشتد فى تسوية صفوف الصلاة فى أحاديث صحيحة كثيرة . يروى النعمان بن بشير : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوى صفوفنا كأنما يسوى القداح حتى رأى أنَّا قد عقلنا عنه ، ثم خرج يوماً فقام حتى كاد يكبر ، فرأى رجلاً باديا صدره من الصف ، فقال : « عباد الله : لتسوُّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم[2] » . . . يقول النعمان : فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه ، وركبته بركبته ، ومنكبه بمنكبه . وتراه صلى الله عليه وسلم يحذر من أية ثغرة بين واحد وواحد أن يدخل منها الشيطان فيقول فيما يرويه أبو أمامة : « سووا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا فى أيدى إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » (يعنى أولاد الضأن الصغار[3]) ، بل إنه ليتهم « إنسانية » المأموم الذى يسبق إمامه فيقول : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل إمامه أن يحول الله رأسه رأس حمار[4] » ؟ ؟ .

وللصيام حدود حددها الكتاب وبينتها السنة ، وأيامه المفروضة كل عام — فضلا عن صوم التطوع — هى أيام ترويض النفس على التزام حدود الله ، فليس لله حاجة إلى طعام أحد أو شرابه ، وجميل أن نذكر هنا الأثر الوارد عن الله عز وجل بقوله :

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة ، ورواته ثقات .

(٢) رواه الجماعة .

(٣) رواه أحمد .

(٤) عن أبى هريرة ، ورواه الجماعة .

« أحبكم إلىّ أعجلكم فطراً » ومعناه أن أحب الصائمين إلى الله هذا الذى يبادر إلى الإفطار حين الغروب ، أى أن طاعة الله بالإفطار حينئذ أحب إلى الله من الإبقاء على الجوع والعطش بعد أن مضى وقتها المحدود ، وهى لفتة بديعة إلى أن مقصد عبادة المؤمن مع الله هو أن يسلس قياده ويطيع ، لا مجرد أن يعطش ويجوع ! !

وهكذا فى الزكاة بأنصبتها ومواردها ومصارفها ، وفى الحج بمواقيته ومناسكه ، وفى الجهاد بتكاليفه ولوازمه ، وفى كل ما أمر الله فى هذا الدين .

وتنظيم الجماعة المؤمنة يختص بخصائص عالية :

فهو تنظيم يقوم على التجرد لله ، ليس فيه مناصب يحرص عليها ، ولكنها تكاليف يشفق المؤمن منها ، لأنه سيسأل بين يدى الله يوم القيامة عنها . ولا يصلح فى جهازه عمل لا يتحرى فيه وجه الله وحده . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفق على العاملين أن يحيدوا عن ذلك . دخل عليه شداد بن أوس فرآه يبكى ، قال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « إنى تخوفت على أمتى الشرك . أما إنهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمراً ولا حجراً ، ولكنهم يراءون بأعمالهم [1] » :

لذلك كان التطلع إلى « المنصب » مسقطا لكل كفاية وراءه ؛ و « طالب الولاية لا يولى » .

وهو تنظيم يقوم على « رسالة » مهمته دائما أن يكون فى خدمتها ، يقر أصولها ويقيم قوائمها ، غير مجامل على حسابها ، ولا مساوم عليها . ومن طبيعته ألا يحرص على مظهر لا تستلزمه الرسالة ، وألا يبعثر جهوده فيما لا يخدم بناءها ، وما أجمل أن نذكر هنا كيف كان الصمت من سنن الزحف فى الإسلام ، ولقد طاف جاسوس قريش على معسكر المسلمين ليلة بدر فرجع إلى قومه يقول: « البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعى ، والله ما أرى أن يقتل واحد منهم حتى يقتل منكم مثله » !

ثم هو تنظيم يقوم على الحزم بعد الشورى ، فلكلٍّ أن يبدى رأيه ، وهو مسئول أن يبديه ولا يكتمه ، ولكن ذلك فى حدود التنظيم الذى تتعارف الجماعة عليه ، وفى

(١) رواه ابن ماجة والحاكم .

الوقت المحدد له ، وقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض رأى أصحابه بالعدول عن القتال بعد أن لبس سلاحه وقوله لهم : « كنتُ دعوتكم إلى هذا فأبيتم ، ولا ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » ورأيناه صلى الله عليه وسلم فى الحزم مثلا أعلى لرجل « النظام » فى حزمه ووضعه للأمور فى مواضعها . يقول عبد الله بن عمرو : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر ، فقال يا رسول الله : هذا فيما كنا أصبنا من الغنيمة . فقال : أسمعت بلالا نادى ثلاثاً ؟ قال : نعم . قال : فما منعك أن تجىء به ؟ فاعتذر إليه . فقال رسول الله : « كن أنت تجىء به يوم القيامة فلن أقبله منك[1] » .

إن آصرة التنظيم بروحها وخصائصها ، هى للجماعة المؤمنة ، وهى التى تحفظ شأنها فى خدمة الرسالة التى آمنت بها ، فإن الرسالة أقدم منها ، وإنما الجديد فيها نظامها الذى تعارفت وتبايعت عليه ، والتفريط فيه هو التفريط فى كيانها .

* * *

يا جند الله .

هذه هى أواصركم :

بآصرة الروح تبقون أطهاراً موحدين .

وبآصرة الفكرة تبقون راشدين مسددين .

وبآصرة التنظيم تبقون أقوياء متساندين .

أخلص الله الطوية ، وألهم الرشد ، وكان عليكم نعم الخليفة .

سعيد رمضان

---

(١) أحمد وأبو داود .

العلوم والسنن الالهية

لأبى نعمان المهاجر

(٣)

إن إرادة الله تبارك وتعالى فى هذا العالم تتمثل فى شيئين اثنين : أحدهما قانون الشريعة ، والآخر قانون الطبيعة .

فأما قانون الشريعة فهو مجموعة ما أنزل الله إلى أنبيائه ورسله من نظم وأحكام ، وعبر ومواعظ ، اقتضت حكمته تعالى وعدالته أن يوقظ بها العقلية البشرية من سباتها ، وأن يثير بها كوامن الإحساس الإنسانى الدفين حتى تتهيأ بها مواهب البشرية للاضطلاع بواجباتها التى خُلقت لها ، والتى فرضت عليها .

وإذا تعمقنا فى فهم أسرار الشريعة السماوية ومزاياها وجدنا أنها ضرورة إنسانية لاتتم سعادة الإنسان فى هذا العالم بدونها ، ولقد تقدمت الحياة العقلية تقدماً عظيما ، فى هذا العصر ، وبالرغم من ذلك فإن الزعم بأن الإنسان يستطيع أن يعيش بغير دين لا يزال ولن يزال زعماً باطلاً ، مادامت حقيقة الإنسان ثابتة ، وما دام كيان العالم قائماً ، وما دام الله القاهر فوق عباده ، الحى الذى لا يفنى ولا يزول .

فمن مزايا الشريعة السماوية التى تعجز كل فلاسفة الدنيا أن يجدوا عنها للإنسانية بديلا ، أنها — أولا — وسيلة حاسمة ليقظة المواهب العقلية والروحية والعاطفية التى كثيراً ما دفنتها فى أعماق الإنسان قسوة الحياة وضرورات المعيشة ، وطغيان عوامل الطبيعة والبيئة ، وتفاعل الأسباب الاجتماعية العديدة التى لاتحصى . والثابت فى تاريخ الإنسان أن اعتناق مبدأ العقيدة الإلهية هو العامل الأكبر ليقظة العقل الإنسانى ، وانبعاثه للتطلع إلى الحقائق الكونية الكبرى ، ومن ثَم نشأت الفلسفة ، وجاء بعدها العلم ، ونهض فى إثره هذا الإنسان الحديث .

وإلى جانب اليقظة العقلية هناك اليقظة الوجدانية التى لاتقل عنها أهمية وخطرا ،

ولا ريب أن الإيمان بالفكرة الكونية التي يخضع لمشيئتها وغايتها كل جزء من أجزاء العالم هو الذي خلق الضمير الإنساني والرحمة والعطف والوجدان العالمي المشترك ؛ ذلك أن هذا الإيمان بالمبدأ الكوني أحدث مبادئ أخرى متفرعة عنه فأذعنت طبيعة الإنسان لاعتناق المبادئ ، كما أنه هيأ للبشرية نفسية متشابهة تقاربت بها مشاعر الناس ونشأ من هذا التقارب قواعد أخلاقية عامة ، وليست اليقظة العقلية والوجدانية بأشد وضوحاً من اليقظة الروحية ، ونعني بها الإحساسات المبهمة الغامضة بروحانية إنسانية تسمو بالإنسان فوق مستوى أحاسيسه التجريبية ، وتعطيه القدرة على تذوق لذات وجدانية تنبعث من أعماق الذاتية الإنسانية الدفينة حتى ولو كان يعاني أقسى ضروب التعذيب والحرمان ، ولا ريب أن إنساناً يملك هذه الخصوبة الروحية ، وهذه الثروة العاطفية ، وهذه القوة والمناعة في الإحساس لهو إنسان أقوم على الحياة وأنهض بأعبائها ، وأوفر حظاً من السعادة واللذة والطمأنينة .

ولقد برهنت النظم المادية الحديثة أنها لا تستطيع الاستغناء عن الموهبة الروحية في الإنسان مهما أغرقت في ماديتها وجحودها وإلحادها ؛ ذلك أن فكرة الدكتاتورية الحديثة قائمة على أساس الهيمنة الحكومية على توجيه مناهج التربية للناشئة بحيث تسيطر الأداة الحاكمة على تكييف معتقدات الشباب حسبما تقتضيه الاتجاهات السياسية والمبادئ والغايات الاجتماعية والاقتصادية ، ومن هنالك تصبح النتيجة تكوين عقيدة معينة راسخة عنيدة لا تقبل الجدل ، ولا تطيق النزاع ولا تخضع للمنطق ، ولا تدع صاحبها يؤمن بشيء سواها ، فيتأتى من ذلك لأرباب هذه العقيدة أن يملكوا من القوى النفسية ، والعزم والتضحية والإقدام مالا يبالون معه بحياتهم ولا بمصالحهم الذاتية ، وتلك لعمري صوفية روحانية ، وإن كانت لها غايات مادية إلحادية مادامت تقوم على الأسس النفسية التي تقوم عليها مبادئ التصوف .

وقد لجأت الدكتاتورية الحديثة — إمعاناً في تركيز مشاعر الشباب — إلى تقديس الشخصية الحاكمة وإكبارها وإحاطتها بالأسرار والألغاز ، والإغداق عليها من أوصاف العبقرية والندرة والشذوذ حتى تتجاوز المرتبة العادية للإنسان العادي ، وتدنو من مرتبة الخوارق الغامضة ، وتقترب من مجال القوى الغيبية الرائعة فتنتزع بذلك تقديس

الجماهير وحبها وتفانيها ، وتصبح تلك الشخصية رمزاً لمجموعة النظم والمبادئ التى تؤمن بها الدولة وتتجه إليها .

ومن هنا نستطيع أن نرى أن الذين كفروا بالقوى الإلهية الغيبية الحقة ، وأنكروا فضلها على الحضارة الإنسانية عادت بهم الضرورة من حيث يشعرون أو لايشعرون إلى تزييف رموز غيبية مفتعلة يستثيرون بها المواهب الروحية فى شعوبهم ، ويستغلونها فى تنسيق الجهود وتنظيم الصفوف ، واكتساب ثروة من القوى البشرية تستخدم فى تنفيذ مشيئة الأداة الحاكمة حيثما اتجهت وأينما ذهبت .

وتلك لاشك مواطن القوة فى هذه المذاهب الدكتاتورية الحديثة ، وأهم أسباب تفوقها النسبى ، ولكنا نستطيع إذا نظرنا إليها من حيث عناصرها النفسية أن نردها إلى أصولها التاريخية فى المهد الإنسانى القديم ، فإنها لن تعدو أن تكون رجعة إلى الخرافات والأساطير التى فزع إليها البشر قبل نضوج مواهبهم العقلية ليكونوا لها مثلاً عليا يلتفون حولها ويهربون إليها من عوادى الطبيعة العنيفة القاسية .

***

إن خلع أوصاف العظمة الخارجة عن حدود القدرة البشرية العادية ، والعصمة من الأخطاء ، والارتفاع عن الاستهداف للنقد هى الخرافة بعينها ارتدت إليها الشعوب الراقية بعد عهد بعيد ، ونحن معشر المؤمنين بالله وكتبه ورسله ودينه الحق لسنا بحاجة — ولله الحمد — إلى هذه الرجعية بحثاً عن القوى الروحية الإنسانية ، فإن ديننا الحق ، وما يفرضه علينا من الإيمان بالقوى الغيبية التى لاريب فيها يغنينا عن الارتكاس فى حياتنا العقلية ، ويكسبنا إيماناً روحانياً سامياً ، ويعلو بإنسانيتنا عن أن تنحط إلى عهود الوثنية الأولى .

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمى سوى العالى من الشجر

اليهود في القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — أخذت أحوال اليهود وأخبارهم حيزاً كبيراً من كتاب الله ؛ فذكرت فى القرآن العظيم أخبارهم مع أنبيائهم، وشرحت أحوالهم النفسية ، وأشير إلى أحوالهم الاجتماعية ، وإن ما اشتمل عليه الذكر الحكيم هو مثل وتصوير للنفس الإنسانية ، وللجماعات ، كيف تستغرقها الرذيلة ، وتجانبها الفضيلة فى خاصة أمورها وعامتها ، فإذا أراد القارئ للقرآن أن يعرف مداخل الشيطان إلى نفوس الآحاد والجماعات ، وكيف ينساب فيها مستوليا عليها ، مستغرقا لها ، فليقرأ ماذكره عن اليهود فى ماضيهم وحاضر الذين عاصروا نزول القرآن ، فإنه سيجد عبرة لكل معتبر ، ووسائل الاستبصار لكل مستبصر .

وإن مجال العظة فى أخبارهم وأحوالهم متسع ، وخصوصاً أنهم فى ماضيهم وحاضرهم هم الذين لايرجون للإسلام وقارا ، ولا يألون المسلمين إلا خبالا ؛ فهم الذين ألبوا عليهم فى الماضى ، وهم الذين يؤلبون فى الحاضر ، وهم الذين ينفثون بين المسلمين بذور العداوة فى الحاضر وقد أغرَوْا بالمداوة بينهم فى الغابر ، فهم الداء الدوى للإسلام فى حاضره وماضيه ؛ والماضى نور الحاضر والقابل ، فيجب أن نقطع السبيل على فسادهم ، وأن نتخذ الأهبة لرد كيدهم فى نحورهم .

٢ — لقد نبّهنا رب العالمين إلى عظيم خطرهم على المسلمين ، فأكد لنا أنهم أعداء الإسلام إلى يوم الدين ، فقال تعالى : « لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ولقد أخبرالله سبحانه وتعالى بهذه العداوة الشديدة فى القرآن الكريم — وهو السجل الخالد إلى يوم القيامة — لنحذر منهم . وإن تلك العداوة قدظهرت على أحدِّها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، واستمرت إلى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم فى العهود

التى أعقبتها ، وهى تختفى فى دس دفين إن كان فى المسلمين قوة ، ثم تظهر فى ممالأة الأعداء ، وتأليبهم إن كان فى المسلمين ضعف ، وهم فى الحالين ، لا منجاة منهم إلا بالحذر منهم فى ضعفهم ، والاستعداد لهم فى قوتهم .

وإنك إن درست أحوالهم ، واستغراق الرذيلة لقلوبهم ، ثم قابلت بين ما درست وما ذكره القرآن لوجدت الأوصاف القرآنية لهم ثابتة لهم ، مجددة فى نفوسهم بتجدد الأعصار ، واختلاف الأمصار ، وهى فى كل أحوالها صورة واحدة فى الجوهر ، وإن اختلفت فى الشكل والمظهر .

٣ — إن الشيطان دخل إلى نفوس اليهود من طريق زعمهم أنهم شعب الله المختار ، فقد وسوس إليهم أنهم أحباء الله ، وأن الناس جميعاً دونهم ، وأنهم من معدن غير معادنهم ، وأن الناس جميعاً لهم تبع ، فإن لم يكونوا كذلك كانوا حربا عليهم وأغروا بينهم بالعداوة والبغضاء . انظر إلى قوله تعالى يحكى قولهم عن أنفسهم ، وزعمهم الباطل فى اختيار الله لهم ، فقد قال سبحانه وتعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض ، وإليه المصير » .

فهؤلاء اليهود يزعمون أنهم أحباء الله ، وأنهم عباده المصطفون ، ولو كانوا يقومون بواجب المحبة ، وهو الطاعة لله سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه ، لكان اعتقاداً أدى إلى خير ، ولكنهم يقولون ذلك ليرفضوا كل حق يُدْعَوْن إليه.

٤ — هكذا كانوا مع موسى عليه السلام ، وقد أنقذهم الله سبحانه وتعالى على يديه من فرعون الذى كان يذبِّح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، ويذيقهم عذاب الهون ، فأخرجهم رب العالمين ، وأغرق فرعون ومن معه ، ولكنهم ما إن خرجوا وذاقوا نعمة الحرية ، وقد أعطاهم الله ما لم يعط أحد من العالمين — حتى كفروا بأنعم الله عليهم ، فقالوا مقالة المشركين : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، واقرأ قوله تعالى : « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء مُتَبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغير الله أبغيكم إلـها ، وهو فضلكم على العالمين » ثم ذكرهم الرسول

الكريم موسى عليه السلام بحالهم ، وذكرهم ربهم بأمرهم فقال : «وإذ أنجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يقتّلون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » .

هكذا كانت أخلاقهم وأقوالهم غِبَّ خروجهم من البلاء الذى كان نازلا بهم: بلاء فرعون ومن معه من حاشية ضالة مضلة ، وقد أشعرهم موسى بفضل الله عليهم ، ولكن الشيطان اتخذ سبيله من طريق ذلك الفضل لأن نفوسهم فاسدة يسكنها الشيطان دائما ، فأوهمهم الشيطان أن ذلك التفضيل يسوغ لهم أن يقولوا ما يريدون لا أن يفعلوا ما يكون شكراً للنعمة وطاعة للمنعم ، فكانوا فى ذلك كالطفل المدلل يطمعه التدليل فى أن ينال كل شىء ، وأن يفعل كل شىء ، وأن يعبث ما شاءت له نفسه العابثة أن يفعل .

٥ — لم يقف سوء تقديرهم عند حد لأنه قد تسرب الشيطان إلى نفوسهم من ذلك التفضيل الذى فضلهم الله به على فرعون وحاشيته ، وما كان تفضيلهم على المؤمنين المتقين الداعنين للحق إذا دعوا إليه ، بل كان تفضيلهم على شر طاغية فى الوجود ، وهو فرعون الجبار الذى كان يقول أنا ربكم الأعلى ، وما فضلهم رب العالمين عليه إلا لأنهم كانوا مظلومين ، وكان هو ظالما ، وكانوا مستضعفين ، وكان هو غاشما ، وكانوا صابرين ، وكان هو عاتيا ، ولذا قال سبحانه فى غيرهم وفيهم عند ما أنقذهم منه ومن طغيانه : « وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وما كان تفضيل القرآن لقوم على قوم تفضيلا شخصيا لذواتهم ، أو لقبيلهم أو لجنسهم ، أو لأجسامهم ، إنما يفضل الله مظلوما على ظالم ليرفع خسيسته ، أو صابراً على عاتٍ ليفل حدة العتاة ، وإن ذلك إنما يكون بقدر ما يدفع ظلم الظالمين ، ويفضل الله أقواما على أقوام بأعمالهم ، و بالأخذ فى الأسباب التى ترفع شأن حياتهم الفانية وحياتهم الباقية ، هكذا يفهم الذين يقدرون نعم الله حق قدرها ، ويقومون بحقها ، ويعلمون أن كل نعمة تستحق واجب الشكر ، وأن من يخرج من ربقة الظالمين عليه أن يشكر

نعمة الله بإقامة العدل وإعطاء كل ذى حق حقه ؛ ولكن اليهود والعدل نقيضان لا يجتمعان ، واليهود والوفاء بالعهد ضدان ، واليهود وشكر النعمة متجافيان .

٦ — انظر إليهم بعد أن أخرجهم ربهم من ظلم فرعون وطاغوته ، وعتوه وجبروته ، فإنهم لا يكتفون فى كفران النعمة بقولهم لرسول الله الكريم موسى: اجعل لنا إلـها كما لهم آلهة ، لا يكتفون بذلك بل إنهم ينتهزون فرصة غيبته للقاء ربه ، وتلقى أوامره ، ويعبدون تمثال عجل صنع من ذهب ، صنعه رجل منهم كان ماهراً فى الصناعة ، فاتخذ من الحلى التى جمعوها تمثال عجل وجعل فيه ثقوبا ، ووضعه وضعا تمر به الريح ، وكان إذا مرت به ، وخرجت من هذه الثقوب كان له صوت يشبه خوار البقر ، فكان جسده أى جسمه على صورة جسم البقر[1] وصفير الهواء فى ثقوبه كخوار البقر ، وقد تعلم هذه الصناعة من أهل مصر الذين مهروا مهارة فائقة فى صناعة التماثيل .

عبد أولئك الكافرون بنعمة الله ذلك العجل ، وقد قال سبحانه وتعالى فيهم :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ، ولما سُقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » عبدوا العجل من دون الله ، وقد رأوا آيات الله ، وكانوا أشد الناس لها رؤية ، إذ كانوا أكثر الناس رؤية للمعجزات ، وبذلك العمل آذوا موسى ، وكانوا سببا — كشأنهم دائما — فى أن أغضبوا الأخ من أخيه ، فهم دائما يفسدون بين الناس ، إذ يكونون سببا فى الغضب بين الأحبة ، انظر إلى قوله تعالى فى حال موسى بعد أن علم منهم ما علم ، فقد قال تعالى : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسِفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى . أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أمَّ إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ، قال رب اغفرلى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين » .

(١) هذا هو تفسير مجاهد للآية ، فارجع إليه فى تفسير ابن كثير عند تفسير هذه الآية ، والجسد يطلق على الجسم سواء أكان حيا أم غير حى .

٧ — هؤلاء الذين عبدوا العجل هم آباء اليهود الذين أتعبوا الأنبياء من بعد موسى ؛ وهم الذين قتلوا النبيين ، وهم الذين كانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وهم الذين صاروا مصدر شرٍّ فى العالمين ، لأنهم باءوا بغضب من الله وكانوا فى هذا الوجود الإنسانى مظهر غضب الله على الأقوام ، تُضرب عليهم الذلة ، ولا يوفون بعهد ، ولا يَحْيَون إلا حيث يسود الشر ، ويظهر قرن الشيطان فى هذه الأرض ، ولذا قال سبحانه فى عبدة العجل : «إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين » .

٨ — أنعم الله على بنى إسرائيل تلك الأنعم كلها ، فحسبوها اختصاصا اختصوا به ، وظنوا أنها لا توجب عليهم واجبات ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه يغفر لهم كل ذنب حتى الشرك ، وغيرهم دونهم ولو كانوا يعبدون الله حق عبادته ، ويشكرون نعمه حق شكرها ، ويؤمنون بالحق ويذعنون . ولقد كان ذلك يظهر فى كل تصرف لهم مع موسى ؛ لأن الشيطان لم يجد سبيلا إلى قلوبهم الخاوية من الإيمان والإذعان للحق أسهل من ذلك الطريق ؛ لأنه هو الذى يدليهم بغرور ، وهو الذى يجعلهم يكفرون بالنعم ، وهو الذى يجعلهم فى عزلة نفسية عن الناس .

وقد ذهب بهم فرط إحساسهم بالاختصاص وكفرهم بالنعمة ، وتدللهم بنعمة الله عليهم ، وعدم إحساسهم بحقها المفروض أن امتنعوا عن القتال ، لدخول الأرض المقدسة ، و أن طلبوا من موسى أن يقاتل هو وحده ومعه الله ، فقد قال أولئك الفاسقون عندما دعاهم موسى إلى القتال : « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون أنعم اللهُ عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ؛ فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون » .

٩ — لاشك أن هذه الآيات تدل على جبنهم مع دلالتها على ماسبق ، وأن الجبن طبيعة فيهم توارثوها جيلا عن جيل ، وأنهم لفرط جبنهم لا يعيشون إلا أحمالاً على الناس ؛ ولذا قال سبحانه فيهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله

وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

فهم بلا شك الجبناء الأذلاء ، الذين لايعيشون إلا محمولين ، ولايستمدون العزة من معان شخصية فيهم ، بل يستمدونها من غيرهم ، قوتهم دائماً يمتصونها من قوى غيرهم ، ولا يمدهم بالقوة إلا شرير أو مغرور ، ولا يعتزون إلا حيث يسود الشر فى الوجود كما نوهنا لذلك ، لأنهم إخوان إبليس ، لايجتمعون مع الخير فى مكان ؛ فحيثما حلوا نزح الخير والأخيار ، واستغلظ سوق الشر والأشرار .

١٠ — وإن استمكان الشيطان فى قلوبهم قد كان سبباً كما نوهنا فى أن صاروا يدعون أنهم شعب الله المختار ، وقد جاءهم كما ذكرنا هذا من أن الشيطان وحده أسهل سبيل لملء قلوبهم بالغرور ، فضلوا ضلالاً بعيداً ، وأن ذلك الشعور قد استولى على أعماق نفوسهم ، حتى أنهم لايدعون إلى دينهم ؛ لأنهم قد اختصوا بخيره ، وغيرهم لايصل إلى مافيه فى زعمهم ، حتى وصل بهم الأمر ألا يعترفوا بأن منهم من يدخل فى دينهم من غير الإسرائيليين ، فيكونون فيهم كالمنبوذين ، وهم بالنسبة لهم كالبراهمة ، ولعلهم قد حاكوا أولئك الوثنيين فى عقيدتهم وطبقاتهم .

إننا نجد أهل كل دين يدعون إلى دينهم ليعم مافيه من خير يعتقدونه ، ولايخص قوما دون قوم إلا اليهود ، فإنهم لايدعون إلى دينهم ، ولايقبلون أحداً ، ليبقى لهم الاختصاص الذى يختصون به ، وليبقى لهم كونهم شعب الله المختار فى هذا الوجود ، « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .

١٢ — هم كما وسوس لهم الشيطان إذن يعتقدون أنهم صفوة هذا الوجود الإنسانى ، ومهما تحاول أن تخلع من رءوسهم ذلك الاعتقاد ، فلن يخلعوه ، لأن الشيطان مكن له فى تلك الرءوس الخاوية قرونا كثيرة ، فكانوا كلما نزلت بهم شدة كان ذلك الاعتقاد عزاء لهم فى محنهم .

ولكن الآيات القرآنية تقرر أنهم فى ذلة ، قد ضربت عليهم ، وأنهم لايحيون إلا بالتبع لغيرهم ؛ فكان الأمر فى التاريخ كما قرر القرآن ؛ فماذا يصنع ذلك الشعب

الذى يزعم أنه شعب الله المختار ؟ إنه لا يجد سبيلا يسلكه إلا السبيل الذى يهدى إليه الشيطان ، وهو المادة واللذات والأهواء ، فجاءوا ليسيطروا على العالم من ناحية المادة ، وهم قوم ماديون ، لا يؤمنون إلا بالمادة والحياة المادية ، فكانوا فيها يحيون وفيها يموتون ، فبالمال أرادوا أن يسيطروا على الناس ، وجمع المال يستطيعه الشجاع والجبان ؛ بل الجبان عليه أحرص ، وهو على جمعه أقدر ؛ وسلطانه فى نفسه أقوى ، وهم قوم جبناء فاتجهوا إلى المال يأخذونه من الحل والحرام ، بل الحلال عندهم قليل ، والحرام عندهم كثير . وقد كانوا كذلك فى ماضيهم ، وهم كذلك فى حاضرهم ، فهم يسيطرون بالمادة لا بالقوة الحربية ؛ وهم يسيِّرون دفة دول الشر بالمال الذى اكتنزوه، ويحركون به اقتصاديات العالم ، ولهم فى كل مكان من الدول التى لا تقوم على الفضيلة شيطان مريد ، يسيِّر دفتها لمصلحتهم .

١٣ — ولقد ذكر سبحانه وتعالى شرههم إلى المادة ، وقوة استيلائها على قلوبهم ، واستمكانها فى نفوسهم ، حتى إنه سبحانه وتعالى يهذب نفوسهم بتحريم بعض الطيبات ليسيروا على الجادة ، فقد قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما » .

وهذه الآية تدل على روح مادية شرسة امتلأت بها نفوسهم ، فهم فى سبيل المادة ظالمون ، تعدوا الحدود فى طلبها ، ولم يعرفوا غاية وراءها ، ولا مرمى سواها .

وإن تلك الروح المادية المنيفة سيطرت على كل شىء عندهم ؛ حتى الكتاب الذى يقرءونه ، وهو التوراة التى بأيديهم ، فاقرأها بعد ما اعتراها ما اعتراها من التحريف والتبديل ؛ فإنك لا تكاد تجد فيها ذكراً للروح ولا للحياة الآخرة ، حتى إنهم إذ يعرِّفون النفس الإنسانية أو الحيوانية يذكرون أنها الدم ولا شىء سواه .

وهم بهذه الروح المادية وجَّهوا العالم الحاضر بتأثيرهم الخفى والظاهر فيه إلى ناحية مادية ، قد تجاهل الساسة فيه كل معانى السمو الإنسانى ، والأخلاق الفاضلة ، فصارت العلاقة بين الناس أموالا وحاصلات ، وصناعات ، ولا شىء فيها من المعانى الإنسانية أو الخلقية أو الاجتماعية الفاضلة .

وهم بتجاهلهم الإيمان باليوم الآخر ، كما يدل على ذلك إهمال توراتهم لذكره ، قد تجاهلوا كل القيم الدينية التى قررتها الأديان السماوية ، وحرص على الدعوة إلى الإيمان بها الأنبياء أجمعون ، ولذا لا عجب إذا رأينا كل دعوة للانحلال الدينى أو الخلقى أو الاجتماعى تنبعث من أوساطهم . وإن الدارسين للحركات التى ظهرت داعية إلى أى انحلال فى أوربا ، إذا تحروا أسبابها الظاهرة والخفية ، فإنهم لابد واجدوها منبعثة من أوساط يهودية ؛ لأنهم الذين أهملوا كل القيم الدينية الرابطة بين بنى الإنسان .

١٤ — ثم إن الآية السابقة تدل على أنهم أخذوا الربا ، وقد نهوا عنه ، ولعل العالم لم يعرف طائفة من الناس استمرأت الربا ، كما استمرأه اليهود ، بل لعلهم هم الذين اخترعوه ، فإن الفلاسفة الذين جاءوا من بعدهم قد استنكروه ، وقالوا إنه ضد الفطرة ؛ وحسبك أن تعلم أنهم هم الذين جعلوا المدنية الحاضرة ربوية ، فآل روتشيلد الذين ظهروا فى القرن الماضى وما قبله وتوزعوا أوربا قسمة بينهم ، بل لقد تعدوها إلى أمريكا ، هم الذين فرضوا تلك النظم الربوية فى الاقتصاد العالمى الحاضر ، وتلقاه الناس عنهم وكأنه لازم من لوازم العمران والحضارة الإنسانية . نعم إنه نظام الحضارة المادية اليهودية ، أو الحضارة الإنسانية الآثمة ، وليس نظام الحضارة الإنسانية الفاضلة .

١٥ — وقد وصفتهم الآية السابقة بأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ، فهم فى فطرتهم العداوة لكل إنسان ليس منهم ؛ لأن زعمهم أنهم شعب الله المختار مع ضرب الذلة عليهم جعلهم أعداء للإنسانية ، فهم لا يرون لغيرهم حقاً ، إنما غيرهم مأكول لهم دائماً ، ولذا قال سبحانه فيهم : «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ؛ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وإن هذا الفريق الذى لا يُؤمن بدينار إلا ما دمت عليه قائماً هم من اليهود كما قال جمهور المفسرين ، فهم يأكلون أموال الناس بالباطل ، بل لقد طوّع لهم الزمان الظالم أهله فجعلهم يأكلون الأوطان والبلدان ، ويشربون الدم الطاهر للإنسانية الطاهرة ، وذلك لأنهم اتصلوا بحبل الناس . ولكن أيها اليهود تربصوا فإنا متربصون ، والعاقبة للمتقين ؟

(للبحث بقية)

مدنية الإسلام

لسماحة السيد عبد الله كنّون

عالم طنجة

كان الكتّاب الذين قيضهم الله فى مبدأ هذا القرن للدفاع عن الإسلام والمنافحة عن شريعته يجعلون مظاهر المدنية الحديثة وقوانين الاجتماع العصرى هى مقياس النهوض والتقدم وغاية النجاح والفلاح ، ثم يعمدون إلى شعائر هذا الدين الحنيف ونظمه السياسية والمدنية فيوفّقون بينها وبين تلك المظاهر ويلحقونها بهاتيك القوانين ، على دعوى أن بينهما وشيجة نسب ولحمة قربى تجعل الفارق بينهما معدوماً والمشابهة قوية جدا .

فالإسلام هو (روح المدنية) والمدنية هى روح الإسلام ؛ وإذا كان هناك مالا يثبت (أمام العلم والمدنية) فهو النصرانية لا الإسلام .

وهكذا يمضون فى المقارنة والتطبيق وغاية قصدهم وجل مرادهم أن يساير الإسلام ركب هذه الحضارة الغربية ولا يتخلف عنها فى شىء .

أما من يفكر فى أن الإسلام دعوة أسمى وأعلى من أن تنزل إلى هذا الحضيض الأسفل من مسايرة هذه المدنية الهلوك ، وأنه نظام قدسى النزعات فمدنيته هى المدنية التى تكفل سعادة البشر فمن حقها أن يحكم بها على المدنيات ولا يحكم عليها ، فهذا قليل من قليل .

فمثلا إذا عرض الكلام للمرأة فى الإسلام وجاءت مسألة تعدد الزوجات ومسألة الطلاق ترى الأقلام تتبارى فى رد هذه (الوصمة) وتبرئة ساحة الإسلام من عهدتها . فمن قائل إن القرآن لم يبح التعدد مطلقا ، ومن قائل إنه قيده بقيود شديدة تجعله فى حكم المحظور لأن الإنسان لا يستطيع أن يفعله على الشرط الذى شرعه به الإسلام ... وهكذا من غير نظر فى لوازم هذه الأقوال ومفاهيمها يحرصون الحرص كله على موافقة التشريع الأوروبى ليكون ذلك تزكية للإسلام .

أما الطلاق فمن جاعل له شروطا وقيوداً ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن داع إلى إبطال أنواع منه ومُدّع عدم وقوعه فى كثير من الأحوال ليوافق هـذه المدنية المستهترة .

كذلك إذا عرض الـكلام إلى هذه المذاهب الاجتماعية المستجدة الداعية إلى العناية بأفراد الأمة ولا سيما الطبقات الفقيرة بتمريضهم وتعليمهم والترفيه عنهم فإن كتَّابنا يذكرون الزكاة ويقرنونها إلى النظم الاشتراكية ويضربون للإسلام — بارك الله فيهم — بسهم فى هذه الناحية أيضا من نواحى المدنية الحديثة .

ولا ننسى المذاهب السياسية ونظم الحـكم (والديموقراطية) بالخصوص فـكم أشاد كتابنا — حفظهم الله — بموافقة الإسلام لها وجريانه على سنتها ، وكم قارنوا بينهما وطبقوا من جزئيات ليقولوا إنهما توأمان لا يختلف فيهما اثنان .

إذا كان الرد على أمثال « كرومر » وتزييف مطاعن (رينان) ونظرائه اقتضى من كتَّاب الجيل السابق أن يسلـكوا هذا السبيل فى النضح عن الإسلام ودحض أقوال خصومه ، فإن كتّاب هذا الجيل يجب أن يعرفوا مهمتهم ، وأن يفرقوا بين الجواهر والأعراض والدرر والأصداف ، وأن يقوموا لهذا الدين الحنيف بالدعوة اللازمة ويشيدوا بأغراضه السامية ومثله العليا ، ويفهموا العالم إن مدنيته هى مدنية المبادىء الفاضلة والغايات الشريفة والنزوع بالنوع الإنسانى إلى الـكمال النفسى والخلقى ، وإهدار الفوارق الجنسية والعنصرية وإيثار الخير العام على المصلحة الذاتية ولو كانت لشعب كامل دون غيره من الشعوب ؛ هى مدنية قائمة بنفسها لا تستظل بظل هذه المدنيات الزائفة الفاشلة . . . هى نظام الحياة السعيدة التى أرادها الخالق للمخلوق .

لا يحاولوا بعد الآن أن يستروا محاسن الإسلام بهذه التأويلات البعيدة ،وليقولوا بمنتهى الصراحة إن تعدد الزوجات والطلاق مثلا هو تشريع إسلامى أصيل لا دخَل فيه ولا ريب . وهو وإن لم يوافق (ما كان) عليه التشريع الأوربى من استنكاره فإنا غير حريصين على هـذه الموافقة . . . وأقول (ما كان) لأن هذا التشريع أصبح يجرى فى إثر التشريع الإسلامى فأباح الطلاق ، وأباحه بكيفية أوسع ممـا هو عليه

فى الإسلام ، وهو يجرى أيضا فى طريق تقنين التعدد والاعتراف بشرعيته وإن كانوا عمليا لم يخلوا منه قط . . .

أما أمر الزكاة فهو أعظم وأجل من كل اشتراكية مزورة ودعوى إحسان باطلة .

وكذلك نظام الحكم فى الإسلام يجب على كتّابنا ألا يهينوه بمحاولة تنظيره بهذه (الديموقراطية) الكاذبة ، هذه البطن المنهومة التى لا يكسر جوعتها حلال ولا حرام ، هذه المرأة الفاجرة التى تبيع عرضها بالبخس وتدعى أنها أعف الناس ، هذه السياسة التى لا ضمير لها إلا الرشوة ، ولا قانون إلا الميز والمحاباة . . .

هذه . . . حرام أن يقاس بها النظام الذى جعل صهيباً وبلالاً وسلمان فى مستوى واحد مع أبى بكر وعمر وعلى . . .

إن الإسلام كما هو دين فوق الأديان ، فمدنيته فوق المدنيات ، ولكن كتاب هذه المدنية لا زال لم يكتب منه صفحة .

من طرف القضاء

تحاكم وكيلان إلى القاضى عضد الدولة فبكى أحدهما فى أثناء الخصومة ، فقال له القاضى: أرنى وكالتك ! فناوله إياها ، فقرأها ثم قال له : لم يجعل إليك أن تبكى عنه ! فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجِلا ! !

يا ابني !

للأستاذ على الطنطاوى

المستشار بمحكمة النقض السورية

[إلى السيد « م . أ » من « الإسماعيلية » بمصر الذى كتب إلىّ واستحلفنى أن أقرأ كتابه ، وأن أردّ عليه]

لماذا « تكتب إلىّ على تردد واستحياء » ؟ أتحسب أنك أنت وحدك ، الذى يحسّ هذه الوقدة فى أعصابه من ضَرَم الشهوة ، وأنك أنت وحدك الذى اختُصَّ بها دون الناس أجمعين ؟

لا ، يا ابنى ، هوّن عليك ، فليس الذى تشكو داءك وحدك ، ولكنه (داء الشباب) ، ولقد كتبت فيه[1] قديماً وحديثاً ، ولولا أنى لا أحب الحديث المعاد ، ولا أقتنى (مع الأسف) إلاّ الأقل من مقالاتى القديمة لنقلتها إليك ، أو لأحلتك عليها ، ولئن أرّقك هذا الذى تجد ، وأنت فى السابعة عشرة ، فلطالما أرّق كثيرين غيرك ، صغاراً وكباراً ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى ، ولطالما صرف عن درسه التلميذَ ، وعن عمله العاملَ ، وعن تجارته التاجرَ . وما الحب[2] الذى افْتَنَّ فى وصفه الشعراء ، وفى تحليله الأدباء ، إلا ما تجده أنت سواء بسواء ، ولكنك أخذته مجرداً مكشوفاً ، فعرفه الناس فلم يخدعوا عنه ، وأخذوه فلفّوه بمثل ورق (الشُّكلاطة) ليخدعوا عن حقيقته الناس ، وشربت بفيك من الينبوع ، وشربوا بالكاس المذهبة الحواشى ، والماء فى كاس أبى نواس التى أقام فى قرارتها كسرى ، كالماء فى الساقية ، والشهوة فى رسالتك إلىّ ، كالشهوة فى غزل الشعراء ، وشعر

---

(١) فى (الرسالة) سنة ١٩٣٨ (كما أظن) بعنوان ، (داء الشباب) ، وفى كثير جداً من كلماتى الصغار فى (النصر) و (الأيام) .

(٢) لو كنت أعلم أن الأستاذ سعيد رمضان يرضى لكاتب فى مجلته أن يكتب فى الحب ، لأرسلت إليه بفصل فيه لا يكتب مثله إلا أنا — ولا فخر !

الغَزِلين ، ولوحات المصورين ، وألحان المغنين ، ولـكن الضمير ها هنا بارز ظاهر ، والضمير هنالك مستتر خفى ؛ وشر الداء ما خفى واستتر !

إنه ما أشرف على مثل سنك أحد إلا تَوَقَّد فى نفسه شىء كان خامداً ، فأحسَّ حَرّه فى أعصابه ، وتبدلت فى عينه الدنيا غير الدنيا ، والناس غير الناس ، فلم يعد يرى المرأة على حقيقتها إنسانا من لحم ودم ، له ما للإنسان من المزايا وما فيه من العيوب ، ولـكن أملاً فيه تجتمع الآمال كلها ، وأمنيَّة فيها تلتقى الأمانى ، ويلبسها من خيال غريزته ثوبا يخفى عيوبها ويستر نقائصها ، ويبرزها تمثالاً للخير المحض والجمال المـكمل ، ويعمل منها ما يعمل الوثنى من الحجر : ينحته بيده صنما ، ثم يعبده بطوعه رباً ! إن الصنم للوثنى رب من حجر ، والمرأة للعاشق وثن من خيال !

كل هـذا طبيعى[1] معقول ، ولـكن الذى لا يكون أبداً طبيعيا ولا معقولا ، أن يحسّ الفتى بهذا كله فى سن خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة ، ثم يضطره أسلوب التعليم إلى البقاء فى المدرسة إلى سن العشرين أو خمس وعشرين .

فمـاذا يصنع فى هذه السنوات ، وهى أشد سنى العمر اضطرام شهوة ، واضطراب جسد ، وهياجا وغليانا ؟

ماذا يصنع ؟

هذه هى المشكلة !

أما سنة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولـكن إياك أن تفـكر فى الرابعة التى هى وحدها الخير ، وهى الزواج :

إما أن تنطوى على نفسك ، على أوهام غريزتك وأحلام شهوتك ، تدأب على التفـكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، (والأفلام) الفاجرة ، والصور العاهرة ، حتى تملأ وحدها نفسك ، وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلا ترى حيثما نظرت إلا صور

---

(١) طبيعى هى الدائرة على أقلام البلغاء من القدم ، وإن كان القياس طبعى

الغيد الفواتن ، تراهن فى كتاب الجغرافيا إن فتحته ، وفى طلعة البدر إن لمحته ، وفى حمرة الشفق وفى سواد الليل ، وفى أحلام اليقظة وفى رؤى المنام

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

ثم لا تنتهى بك الحال إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب

وإما أن تعمد إلى ما يسمونه اليوم (الاستمناء) وقد كان يسمى قديما غيرهذا ، وقد تكلم فى حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ، وكان له فى كتب الآداب باب ، لا أحب أن أدل عليه أوأرشد إليه ، وهو وإن كان أقل الثلاثة شراً ، وأخفها ضراً[1] لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهمّ ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما ، كئيباً ، مستوحشا ، يفر من الناس ، ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو فى رباط الحياة .

وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة ، وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك فى لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التى تسعى إليها ، و (الوظيفة) التى تحرص عليها ، والعلم الذى أمّلت فيه ، ولم يبق لك من قوّتك وفتوتك ما تضرب به فى لجّ العمل الحرّ .

ولا تحسب بَعْدُ أنك تشبع ، كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهماً كشارب الماء الملح[2] لا يزداد شربا إلا ازداد عطشا ، ولوأنك عرفت آلافا منهن ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذى يحسه من لم يعرف امرأة قط ، وهاك (فاروق) مثالا !

وَهَبْكَ وجدت منهن كل ما طلبت ، ووسعك السلطان والمال ، فهل يسمك الجسد ؟ وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟ دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعاجيب فى القوة ، وكانوا أبطالا فى الرّبع والصرع

---

(١) لست أدعو إليها ، ولكن أقرر حقيقة قررها كثير من كبار الأطباء ووافقوا فيها رأى الفقهاء من الحنفية فى الجملة .

(٢) الماء الملح : أى المالح .

والرمى والسَّبْق ، ما هى إلا أن استجابوا إلى شهواتهم ، وانقادوا إلى غرائزهم ، حتى أمسوْا حطاماً . . .

إن من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها ؛ الصحة والنشاط ، وجعل مع الرذيلة عقابها ؛ الانحطاط والمرض ، ولربَّ رجل ما جاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب فى الثلاثين ،ومن أمثال الإفرنج التى سمعناها ، وهى حق وصدق : من حفظ شبابه حفظ له شيخوخته .

ولو ترك الرجل لغريزته ، ولم تكن هذه المغريات من الصور والروايات والأفلام ، وتكشف النساء وشيوع الفاحشة ، لما هاجت به الغريزة إلا مرة أو مرتين فى الشهر والشهرين ؛ لأن من القواعد الثابتة فى العلم أنه كلما ارتقى الحيوان (والإنسان هنا حيوان) فى سلّم التطور ، قلَّ عنده السفاد وطال الحمل ، فالديك والدجاجة يتسافدان كل يوم لأن مدة الحمل (بالبيضة) يوم واحد ، أما القط (وهو من ذوات الأثداء) فيسافد القطة مرة أو مرتين فى السنة لأن حملها مره فى السنة أو مرتين ، وأظن أن الإنسان أرقى من القط ، فلماذا يكون للقط موسم واحد ، هو عندنا شباط (فبراير) وتكون شهور السنة كلها شباط عند بعض الناس ؟ لهذه المغريات !

فالبلاء كله من هذه المغريات ، من دعاة الشر ، ورسل إبليس ، الذين يزينون للمرأة التكشف والتبرج والاختلاط باسم المدنية والتقدمية والنهضة النسائية ، وما يُعْنون بالمرأه إلا كعناية الجزار بالنعجة : يطعمها ويدفع عنها ويحميها ويسمنها ، ولكن للذبح . . . والذين دأبوا على نشر صور العاريات فى مجلاتهم من الممثلات الأجنبيات أولاً ، ثم من بنات المدارس بدعوى الرياضة ، ونساء السواحل بدعوى الاصطياف ، وعملوا على ذلك الدهرَ الطويل ، على خطة مرسومة ، وسبيل معينة ،صابرين محتسبين لوجه إبليس ، ولولاهم ولولا مجلاتهم ولولا تلك الروايات من قبل وهاتيك الأفلام من بعد ، ولو لا الذين تخرجوا بمدرسة الضلال ثم وَلَوُا هم (مع الأسف) أمر أبنائنا وبناتنا فى مدارسنا ، ما رأينا ولا توهمنا أننا سنرى يوماً ، بنات المسلمين يكشفن عن سيقانهن وأفخاذهن ، للعبةٍ بكرة السلة ، أو لعرضٍ فى حفلة الرياضة ، أو لاصطيافٍ على الساحل ، ولو بعث قاسم أمين ومن شايعه على دعوته ، من رؤوس

الفتنة ، ورأوا إلامَ انتهت إليه المرأة بدعوتهم (التى أرادوا بها غير هذا) لأخذتهم الصَّعْقة !

وأؤكد لك أن (ذلك الأمر) فى حقيقته أتفه وأهون مما تظن ، وأن الحديث عنه أعظم منه ، ووصفه أكبر أثراً فى النفس من فعله ، ولولا هذا الفن : فنّ الشعر والقصة والتصوير والغناء ، لولا هذا الذى يجمّل المرأة ، ويحسّن الحب ، لما رأيت لتلك (الصلة الجسمية) فى نفسك ولا نفس غيرك من الشباب عشر معشار ما تحسّه اليوم ، إنها عملية كالعمليات الطبية كلها ، ولكنها قذرة حقا ، لذلك وضع الله لها هذا (البنج) الذى يعمى ويصمّ ، فلا يرى المرء القبح فيها ، وهذا البنج هو الشهوة ، ولو فكر المرء فيها هادئا ، لو فكر فيها بعقل رأسه لا بعقل أعصابه لرآها كما أقول .

وهذه المغريات كلها لا تعمل عملها ، ولا تؤتى المرّ من ثمرها ، ما لم يوجد رفيق السوء ، الذى يدلك على طريق الفاحشة ، ويوصلك إلى بابها ، إنها كالسيارة الكاملة العدة ، وهذا الرفيق كالزناد (المارش) ، وليس تمشى السيارة مهما كانت قوتها إلا بالزناد .

***

وكأنى أسمعك تقول ، هذا الداء ، فما الدواء ؟

الدواء أن نعود إلى سنة الله ، وطبائع الأشياء التى طبعها عليها ، إن الله ما حرّم شيئاً إلا أحل شيئا مكانه ؛ حرم المراباة وأحلّ التجارة ، وحرم الزنا وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج .

الزواج هو وحده طريق الإصلاح ، وأنا أقترح على الأستاذ الكبير المرشد العام للإخوان أن يؤسس قسما جديدا يرغِّب الشبان فى الزواج ، ويدعوهم إليه ، ويسهله عليهم ، ويدل الخاطب على الفتاة التى تصلح له ويصلح لها ، ويقرضه المال إن كان معسرا ، ولهذا الاقتراح تفصيلات وذيول ، فإذا رأى الأستاذ الأخذ به ، أمر فكتبت إليه تفصيل هذا الإجمال .

فإذا لم يتيسر لك الزواج ، ولم تردالفاحشة ، فليس إلا التسامى ، وأنا لا أريد أن أعقد

هذا الفصل الذى كتبته ليكون مفهوما واضحا ، بمصطلحات علم النفس ، لذلك أعمد إلى مثال أمثله لك ، أترى إلى أبريق الشاى الذى يغلى على النار . إنك إن سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه فجّره البخار المحبوس ، وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة ، أدار لك المصنع ، وسيّر القطار ، وعمل الأعاجيب .

فالأولى حالة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويعكف عليها ، والثانية حال من يتبع سبل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرمة ، والثالثة حالة المتسامى .

فالتسامى هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحى أو عقلى أو قلبى أو جسدى ، يستنفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة ، بالالتجاء إلى الله والاستغراق فى العبادة ، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس فى البحث ، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التى تصورها لك غريزتك بالألفاظ شعراً ، أوبالألوان لوحة ، أو بالألحان نغما ، أو بالجهد الجسدى والإقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية البدنية ، أو بالبطولة الرياضية ، والإنسان يا ابنى محب لنفسه لا يقدم أحداً عليها ، فإذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومتانة صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضى المتناسق القوى ، أحب إليه من كلّ جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحى به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلداً على عظم ، من أجل سواد عينى فتاة ، ولا من أجل زرقتهما . . .

هذا هوالدواء : الزواج ، وهو العلاج الكامل ، فإن لم يمكن فالتسامى وهو مسكّن موقت ، ولكنه مسكن قوى ، ينفع ولا يؤذى .

أما ما يقوله المغفلون ، أوالمفسدون ، من أن دواء هذا الفساد الاجتماعى هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة ، وفتح (المحلات العمومية) حتى يُقضى بها على البغاء السرى ، فكلام فارغ ، وقد جربتْ الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفساداً ، أما المحلات العمومية ، فإننا إذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفى الشبان جميعاً ، وإذن فينبغى أن يكون فى القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغىّ ، لأن فى القاهرة (من أصل المليونين ونصف المليون من سكانها)

مئتا ألف شاب على الأقل . . . وإذا نحن جوّزنا للشباب ارتيادها ، فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ؟ هل نفتح لهن أيضاً محلات عمومية فيها (بغايا) من الذكور ؟ !

* * *

كلام فارغ يا ابنى والله ، وما تقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، وما يريدون إصلاح الأخلاق ، ولاتقدم المرأة ، ولانشر المدنية ، ولا الروح الرياضية ، ولا الحياة الجامعية ، إنما هى ألفاظ يتلمظون بها ، ويبتدعون كل يوم جديداً منها ، يهوّلون به على الناس ، ويروّجون به لدعوتهم ، وما يريدون إلا أن نُخرج لهم بناتنا وأخواتنا ، ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفى من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن ، ويصاحبوهن منفردات فى الأسفار ، ويراقصوهن متجملات فى الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء ، فيضحوا بأعراض بناتهن ليقال إنهم من المتمدنين . . .

وبعد يا ابنى فلاتتردد فى الكتابة إلىّ إن لم يرضك هذا الجواب ، ولاتستحى مما تجد من حرّ هذه الشهوة التى ركبها الله فى النفس ، إنها علامة القوة والأيْد والشباب ، وعليك بالزواج ، ولو أنك طالب لا تزال ، فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس فى العبادة والدرس ، والاشتغال بالفن ، وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج .

والحديث طويل ، وهذا ما اتسع له مجال المقال ، ومن استزادنى زدته رسالة إن شاء ، أو مقالة إن شاءت (المسلمون) .

عن أنس رضى الله عنه :

« قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال عليه السلام : إذا ظهرت المداهنة فى خياركم ، والفاحشة فى شراركم ، وتحوّل الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم » .

« ابن ماجة بإسناد حسن »

فى ظلال السنة

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

لابدّ للحق من أنصار

روى البخارى ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتزال طائفة[1] من أمتى قائمين على الحق ، لايغرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله[2] وهم ظاهرون[3] » .

***

إن للحق دولة ، وللعدل صولة ؛ ودولة الحق إلى قيام الساعة ، أما دولة الباطل فساعة .

فإن من سنن الله فى خلقه أنه كلما كثر الضالون ، وشاع المبطلون ، وغلب المفسدون ، وتسلط المترفون المتجبرون ، ندب جماعة من خيرة عباده لتأديبهم ، واصطفى نفراً من خُلّص أحبابه للتنكيل بهم ، حتى يستقيم ميزان العدل ، وتؤمن السبل ، ويسعد المجتمع ؛ فيستنصر بهم الضعيف ، ويذل بهم الظالم ، ويأمن الخائف .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

أولئك الذين ينتدبهم الله للجهاد فى سبيله ، ويصطفيهم للدفاع عن سننه . هم قوم جمع لهم من صفات الخير أسماها ، ووهبهم من سمات الفضل أشرفها ؛ فاتصفوا

---

(١) طائفة : قال النووى الطائفة هى مفرقة بين أنواع المؤمنين : منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، ومنهم آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير . ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين فى أقطار .

(٢) حتى يأتى أمر الله : حتى تقوم الساعة .

(٣) وهم ظاهرون : غالبون .

بالشجاعة والإقدام ، وجعلوا مبدأهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » .

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر قال : أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أقول الحق ولو كان مُرّا ، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ لا يمنعنّ أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ؛ فإنه لايقرّب من أجَل ، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق » .

بهذا قد تكفل الله بالدفاع عن أولئك المجاهدين أوليائه ، والأخذ بناصر جنده وأحبائه .

روى البخاري في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من عادَى لي وليّا فقد آذنته بالحرب » .

يريد أن من عادى وليا لله فقد أعلمه الله بالحرب ، وهل يوجد مؤمن دخل الإيمان قلبه يجرؤ أن يعمل عملا يسبب له أن يعلن الله عليه الحرب ؟

وهنا يحسن بنا أن نبحث عن الأولياء وصفاتهم حتى نعرف من هم .

فهل هم الأشخاص الذين اتخذهم الكثير من العامة وبعض الخاصة أولياء وهم من نشاهدهم من المعتوهين الذين يكشفون عوراتهم في الطرقات ، ويقذفون من أفواههم أنواع الشتائم والمكفرات .

أم هم الذين يقال عنهم إنهم يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء مع ارتكابهم للموبقات ، وإتيانهم للمحرمات ، مدّعين أنه مغفور لهم ، وأن هذه المنكرات لاتنافي الولايات .

الحق أنه لا هذا ولا ذاك ؛ وإنما الوليّ هو المؤمن التقي الذي يتولى الله بإخلاص العبادة له ، والتوكل عليه وحده ، مع حبه لله والحب فيه والولاية له . على أن يكون أصبر الناس وأرضاهم بسنن الله اعتقاداً ، وهو يعلم أن الله إذا ابتلاه بشيء مما يخيف ويحزن فإنما يربيه بذلك الابتلاء لتكميل نفسه ، وتمحيصها بالجهاد في سبيله .

وهذا هو معنى الولى الذى كثر دورانه فى القرآن الكريم . قال تعالى : « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون» فوصفهم سبحانه بأنهم أنصار دينه من أهل الإيمان والتقوى .

أما ما اصطلحوا عليه من أن الأولياء هم صنف من الناس تظهر على أيديهم الخوارق ، ويتصرفون فى الكون بما وراء الأسباب ، فإنه معنى لم يعرفه الصحابة فى عصرهم : عصر نزول القرآن .

أجل قد يُغشّى الباطل الحق فترة ، ويغطّى الزيف الصحيح ساعة ؛ ولكن النصر دائما للحق ، والهزيمة أبداً للباطل « بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق » ، « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وإنما يتغلب الباطل على الحق إلى حين ، والطغيان على العدل إلى زمن ، لسنة إلهية ، وناموس اجتماعى ؛ وهو تمييز الخبيث من الطيب ، والقوىّ من الضعيف . قال تعالى :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .
ألا ترى إلى قوله تعالى فى ضربه المثل للحق والباطل : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل : فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ؛ كذلك يضرب الله الأمثال » .

* * *

ضرب الله — جلّ اسمه — فى هذه الآية مثلين للحق وطول بقائه ، وللباطل ووشك فنائه .

المثل الأول — وهو المثل المائى شبه فيه الحق الذى به حياة القلوب وسعادة النفوس وإخصاب الحياة ، بالماء الذى ينزل من السماء به حياة الأرض بعد موتها ، وإنباتها بعد جدبها ، وبهجتها بعد كآبتها .

وشبه القلوب بالأودية على اختلاف سعتها ، فيها الوادى الواسع والوادى الضيق ، يجرى الماء فى كلٍّ على مقدار سعته .

كذلك القلوب فى انتفاعها بالحق الذى نزل القرآن به ، فيها القلب الكبير يسع علماً عظيما ، تنزل به النفحات الربانية وتهبط عليه المعارف الإلهية ، وفيها القلب الصغير يأخذ من الهدى بقدره ، ومن العلم بسعته .

وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل غثاء وزبدا ، كذلك الهدى والحق ، إذا خالط القلوب ، أثار مافيها من الشبهات ليقلعها ، وحرك ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، كما يثير الدواء — وقت شربه — مافى البدن من أخلاط ، فيتكدر لذلك شاربه ، مع أن هذا من تمام نفع الدواء ، ثم يعقب ذلك الصفاء ويتم الشفاء .

* * *

ومثّل الله للباطل وسرعة اضمحلاله ، وخلوه من النفع بزبد السيل الذى يرمى به ، وجعله رابياً طافياً فوق الماء ؛ ليشير بذلك إلى أن الباطل قد يغشّى الحق حيناً ويعلوه زمانا ، ولكنّ العاقبة للحق فى الغلبة ، والنصر للحق فى النهاية .

ثم ذكر الله للحق والباطل مثلا آخر — وهو المثل النارى — فقال جل جلاله : « ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » .

فمثّل الحق بالمعادن التى يصاغ منها الحلى ، وتتخذ منها الأوانى والآلات المختلفة ، بعد أن تصهر فى النار ويوقد عليها ، فتخرج خبثها وتطرح زبدها ؛ كذلك الشهوات والشبهات ، يرميها قلب المؤمن ويطارحها ويجفوها ، بعد أن يصهره الحق وتنضجه المعرفة ، ويذوب منه الزغل . ثم يستقر فى قرار الوادى الماء الصافى ، الذى يستقى منه الناس ويزرعون ، ويسقون أنعامهم ويغرسون .

وترسب المعادن النافعة لتبقى آماداً طويلة ، وأدهاراً متعاقبة ينتفع بها الناس على أشكال مختلفة وصور متنوعة .

كذلك يستقر فى قرار القلب وجذوره الإيمان الخالص الصافى ، والمبادىء القويمة السمحة ، ينتفع بها الفرد وتسعد بها الجماعة .

* * *

وهكذا يضرب الله المثل للحق والباطل ليطمئن به من هم على الحق سائرون وإن شغب عليهم الباطل ، وتقوى به عزائم المصلحين وإن طال عليهم السفر ،

وتتعزى به نفوس المجاهدين مهما أصابها من الضرر ؛ فإن العلو للحق ولو بعد حين ، وإن الهزيمة للباطل مهما أحاط به من الشياطين .

على أن الحق دائماً فى حاجة إلى سيف يؤيده ، والسيف فى حاجة إلى حق يوجهه ، أما الحق الذى ليس له أنصار يطالبون به ، ولا جنود أقوياء يدافعون عنه ؛ فهو شبيه بالباطل .

وأما السيف إذا لم يكن فى كف حكيم عادل ، يصرّفه فى تشييد دعائم الحق والإيمان ، وتقويض أسس الباطل والطغيان ، ويهزه فى وجه الظلم والظلام ؛ فهو معول للخراب وآلة للدمار .

* * *

وفى هذا الحديث بشارة عظيمة لمن كان من القائمين على أمر الله ، المرابطين لحراسة دينه ، الذابّين عن حصن الحق والعدل ؛ إذ أنه لا يخاف الضرر وإن كثر أهله ، فيظل أبداً مطمئن النفس ، منشرح الصدر ، لأن المُخْبِر بذلك صلوات الله عليه صادق ، والمُخْبَر عنه سبحانه وتعالى عالم وقادر ؛ ولا يضيع امرؤ بين صادق فى خبره وقادر على تنفيذ مشيئته « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » .

من أى الأقسام أنت ؟

العلماء ثلاثة :

إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها . وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون إلى الله سبحانه ظاهراً وباطنا . وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره ، وقصده فى الباطن إقامة الجاه ...

فانظر من أى الأقسام أنت ؟ !

« الغزالى فى الإحياء »

خاطرة :

دين أغاخان

دخلت حجرتي بفندق « سان مورتيز » في نيويورك ، فوجدت سجادة الصلاة مبسوطة على السرير ، وما تركتها كذلك ، فطويتها ووضعتها جانباً ، وقد فهمت أنها فعلة خادمة الفندق العجوز . وما لبثت هذه أن دخلت حين شعرت بوصولي ، وأخذت تعاتبني على إهمالي للسجادة الجميلة وطيها هكذا ، ثم التقطتها وبسطتها على السرير مرة أخرى قائلة : هذه لتزين بها الغرفة هكذا يا سيدي وإلا فلماذا تحملها ؟ وودت لو كان عندي مثلها في بيتي !... فقلت لها هذه سجادة الصلاة ! فاضطربت العجوز وقالت : معذرة يا سيدي ... معذرة ... آسفة جداً ... ماخطر هذا على بالي ... وما دينك يا سيدي ؟ قلت لها : الإسلام .. فردت في عجلة الذي يريد أن يعلن معرفته : آه دين أغا خان .... لقد قرأت عنه ... وأسفت كثيراً على طلاق « علي » من ريتا هيوارث ، ولكنه سيجد أجمل منها ، إن الدنيا مليئة يا سيدي !! .. فكأنما لدغتني هذه العجوز لدغة منكرة ، ولكني سرعان ما كظمتها وقلت : ولكننا لا نعتبر أغا خان ممثلا للاسلام ... إن الإسلام ... (وحدثتها قليلا عن معانيه) فقالت : جميل ... جميل جداً ... ولكن أليس أغاخان هو ملك المسلمين ؟ قلت لها : لا . قالت : أنا لا أعرف هذا .... اعذرني يا سيدي .... إن كل الصحف تقول هذا .... وكل أمريكي .. يفهم هذا .... ولكن لماذا لا تصححون أنتم هذا الفهم .... لماذا لا تنشر في الصحف ما قلته لي الآن ؟... إنه جميل يا سيدي ... فقلت لها : لهذا جئت ! وخرجت العجوز في تأثر واحترام ظاهر .

* * *

ودعيت لإلقاء محاضرة عن الإسلام في كنيسة فرجينيا، فوقف القسيس الشاب فقدمني للحاضرين بقوله : لن أقدم لكم المحاضر ، فإن ذلك سيتولاه غيري ، أما أنا فسأقدم لكم دين المحاضر . إن دين قسيسنا المحاضر اليوم هو الإسلام ، ونبي الإسلام هو محمد . وحين جاء محمد كان في الجزيرة العربية ثمانية عشر إلها يعبد ، أحدهما اسمه (ALLAH) : الله ، فاختار محمد هذا الـ(ALLAH) وجعله الإله الوحيد الذي يعبد !!

وقد استغرب الحاضرون حين قلت لهم : إني لست قسيساً لأنه ليس في الإسلام رهبنة ولا تسيس . وضحكوا حين قلت لهم إن المعلومات التي قالها القسيس عن الإسلام أسمعها أنا اليوم لأول مرة !! وما لبثوا حين حدثتهم عن الإسلام أن أبدوا دهشتهم وإعجابهم بالذي سمعوه ، وحرصوا على مصافحتي بعد المحاضرة في عاطفة تأثرت بها ، وطالبني كثير منهم بنسخ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية .

* * *

هكذا يفهم الإسلام هناك ... وهكذا يعرض ... فكيف بالله يحاسب هؤلاء على كفرهم به ؟ وكيف نحاسبهم إذا نظروا إلى المسلمين شزرا كما ينظرون ؟

ثم ماذا يقول المسلمون لله يوم القيامة حين يسألهم عن أمانة تبليغ الدعوة للناس كافة ... بعد أن يسألهم — طبعا — عن أمانة الإسلام في أنفسهم هم وفي أوضاعهم ؟؟!.

ألا ما أثقل الحمل وما أرهب الحساب !!.

من فقه القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٩)

تطبيقات عملية للبيوع المنهى عنها

تكلمنا فيما سبق عن أثر النهى من الشارع عن عقد من العقود ؛ هل يقتضى هذا النهى فساد العقد المنهى عنه ، أو لا يستلزم النهى الفساد ولكن يفيد أن من يُقدم عليه مع النهى عنه يكون آثما وإن كان العقد لا يكون فاسدا .

والآن نختم الكلام عن البيوع المنهى عنها بالإتيان ببعض التطبيقات العملية التى لا زلنا نرى شيئاً منها فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، على حين أن الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه نهى عنها منذ نحو أربعة عشر قرنا من الزمان . ولنقدم بين يدى ذلك هذه الأحاديث الصحيحة :

١ — روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تلقوا الركبان للبيع، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تنافسوا، ولا يبع حاضر لباد»[١] .

٢ — عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تلقوا الركبان ، ولا يبع حاضر لباد » . ثم فسر ابن عباس بيع الحاضر للبادى بألا يكون له سمسارا[٢] .

٣ — عن ابن عمر قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن النجش[٣] .

---

(١) موطأ مالك ج ٢ : ٨٦ ، مسلم بشرح النووى ج ٤ : ٦ . وروى النسائى : « لا يبع أحدكم على بيع أخيه حتى يبتاع أو يذر » ، ومعنى هذا أنه أراد بالبيع الشراء .

(٢) البخارى ، بشرح ابن حجر ج ٤ : ٢٩٥ ، وانظر أيضا ص ٢٩٨ ، وهو متفق عليه .

(٣) نيل الأوطار ج ٥ : ١٦٦ ، والحديث الأخير رواه الجماعة إلا البخارى .

٤ — عن أبي هريرة قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يُتلقى الجلب ، فإن تلقاه إنسان فصاحب السلعة فيها بالخيار إذا ورد السوق[١] .

٥ — وعن أنس أن الرسول عليه الصلاة والسلام باع حِلْساً وقدحا ، وقال من يشترى هذا الحِلْس والقدح ؟ فقال رجل : أخذتهما بدرهم ، فقال : من يزيد على درهم ؟ فأعطاه رجل درهمين فباعهما منه[٢] .

وبالنظر إلى هذه الأحاديث نجد الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن هذه البيوع :

(ا) تلقى الجلب أو الركبان أو البيع منهم .

(ب) بيع الحاضر للبادى .

(ج) بيع النجش .

(د) البيع على بيع رجل آخر .

كما نجد الحديث الأخير يقرر أنه لا بأس ببيع من يزيد .

وإذن ، علينا أن نتكلم عن كل ضرب من هذه البيوع ، ليكون ذلك تطبيقات عملية للمبادئ والأصول التى انتهينا إليها ، ثم علينا أن ننظر مع هذا فيما قد يكون من أثر للنهى عن هذه البيوع فى أيامنا الحاضرة .

(ا) تلقى الجلب :

إن معنى هذا أن يبادر بعض أهل البلد فيتلقى الآتين إليها بسلعهم لبيعها ، فيشتريها منهم بالثمن الذى يناسبه ، ثم يعود ليبيعها من أهل البلد بأثمان أعلى . وعلة النهى عن هذا الصنيع واضحة ، وهى الإضرار بصاحب السلعة الجالب لها من ناحية وبأهل البلد من ناحية أخرى ؛ لأنه سيبيعهم بأغلى مما اشترى به ، ولو تركهم لاشتروا حاجاتهم بثمن معتدل مقبول من الطرفين .

ثم يرى أبو حنيفة وآخرون من الفقهاء أن تلقى الجلب أو الركبان يجوز إن لم

---

(١) نيل الأوطار ج ٥ : ١٦٦ ، والحديث الأخير رواه الجماعة إلا البخارى .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن مطولا ، ومختصر فتح البارى ج ٤ : ٢٨٢ . والحلس كساء رقيق يكون تحت برذعة البعير ، والبساط أيضا .

يضر بالغير ، وإلا كان مكروها ، فى حين أن الشافعى ومالك وجمهور الفقهاء يرون تحريم التلقى مطلقاً .

على أنه إذا رأينا التحريم ، ولم يبال بهذا بعض الناس فتلقى من جالبى السلع ما جاءوا به لبيعه ، صح العقد لأن النهى لا يرجع إلى نفس العقد ولا يخل بشىء من أركانه وشرائطه ، ولكن يكون المتلقى آثما لعمله على خداع البائع والإضرار بالآخرين من أهل البلد ، وعند الشافعى أيضاً يصح البيع ، ولكن يكون للبائع الخيار إذا ورد السوق وعرف أنه قد غُبن ، كما جاء فى إحدى الروايات التى ذكرناها للحديث(١) .

هذا ، وليس صحيحاً ما قد يقال من أن هذا الضرب من البيع لا يوجد هذه الأيام ، فما من فائدة للحديث عنه . هذا ليس صحيحاً ؛ لأنه يوجد هذه الأيام وبكثرة فى كثير من الجهات والحالات ، ولولا يقظة أولى الأمر لكان منه أذى كثير لكثير من المواطنين البائعين والمستهلكين على السواء .

من الحق أن الحكومة قد سعَّرت كثيراً من المنتجات الزراعية ، وهذا حسن بلا ريب . ولكن من الحق أيضاً والواقع الذى لا ينكره أحد ، أن هناك كثيراً من المنتجين الضعاف الذين يقعون فريسة لبعض التجار الجشعين النَّهازين للفرص ؛ إذ يذهب أولئك بسلعهم إلى الأسواق الرسمية بالأرياف ، فيتلقاهم هؤلاء التجار على مبعدة من هذه الأسواق وفى غفلة عن أعين المراقبين من رجال الحكومة ، ويشترون منهم ما يحملون من منتجات بأقل من السعر المحدد لها بعد أن يوهموهم بأن هذا هو السعر الذى تباع به فى الأسواق الرسمية .

ومن ذلك نرى أن من الخير ، بل من الواجب ، معالجة هذه الحالات التى يُخدع فيها كثير من البائعين ويفيد منها التجار الجشعون الذين لا خلاق لهم ، وهذا لا يكون إلا بالمزيد من الرقابة الرسمية ، وبتطبيق ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الناحية .

---

(١) راجع النووى شرح مسلم ، ج ٤ : ٧ ؛ ابن حجر شرح البخارى ، ج ٤ : ٢٩٧ ، وفيه أن بعض المالكية والحنابلة يرون بطلان هذا البيع ؛ سبل السلام ، ج ٣ : ٢٦ — ٢٨ ؛ نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٦٦ — ١٦٩ .

(ب) بيع الحاضر للبادى :

إن قول الرسول : « لا يبع حاضر لباد » من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها تحتمل أكثر من تفسير بحسب الصالح العام فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، ولأنها تطالعنا من وراء هذه القرون المتطاولة مع صلاحيتها لحكم بعض ضروب البيع فى هذه الأيام التى نعيش فيها .

فقد فسر ابن عباس « بيع الحاضر للبادى » المنهى عنه بقوله : لا يكن له سمساراً يعنى أنه يمنعه من البيع بسعر الوقت ليبيع له سلعته تدريجياً بثمن أعلى . كما أنه قد يفسَّر بأن يبيع الواحد من أهل البلد للآتين إليها من غير أهلها ما يحتاج إليه هؤلاء الأهلون ، وذلك طمعاً فى زيادة الثمن والربح غير المعقول[1] .

والخلاف فى المراد من النهى هنا ، وفى حكم البيع لو عُقد مع النهى عنه ، هو مثل الخلاف فى البيع السابق[2] والعلة فى النهى عن هذا العمل واضحة ، وهى أن فيه إضراراً بأهل البلد على كلا التفسيرين ؛ ولذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث نفسه فى بعض رواياته : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » .

وهنا قد يقال بأن النهى عن بيع الحاضر للبادى ، بأن يكون له سمسارا ، فيه نظر لأهل البلد وتسامح فيما قد يكون فيه من غبن للبادى ؛ على حين أن الأمر بالعكس فى النهى عن تلقى الركبان أو الجلب ، ففيه الحرص على ألاّ يخدع الجالب ويُغبن ممن يتلقاه .

حقا قد يقال هذا ، ولكن علينا أن نلاحظ أن الشريعة الإسلامية تعنى بصالح الجماعة مع عنايتها بصالح الفرد ، بل إنها لتقدم أولاً المصلحة العامة للجماعة ، ففى البادى يبيع بنفسه منفعة لأهل البلد إذ يشترون حاجاتهم بثمن رخيص معقول . وأما فى التلقى فلو أجيز لكان المنتفع هو المتلقى وحده ، فضلا عن غبن الجالب وضرر سائر أهل البلد جميعاً .

(١ ، ٢) النووى ، ج ٤ : ٨ ؛ ابن حجر ، ج ٤ : ١٩٦ ؛ سبل السلام ، ج ٣ بالموضع السابق بالهامش قبله ؛ نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٦٤ — ١٦٥ ، وفيه أن الأحناف يخصصون المنع من ذلك بزمن الغلاء وبما يحتاج إليه أهل المصر .

بذلك ، لا يكون هنا تعارض بين النهى عن هذين الضربين من البيوع ؛ بل هما يرجعان إلى حكمة واحدة ، وهو النظر لمنفعة الجماعة أكثر من منفعة الفرد الواحد ، وهذا ما سميناه من قبل « النزعة الجماعية » للفقه الإسلامى ، وهى من خصائصه التى تميز بها .

وبعد هذا وذاك ، نحب أن نشير إلى أن بعض الفقهاء ، مثل عطاء ومجاهد وأبى حنيفة ، أجازوا بيع الحاضر للبادى مطلقا ؛ وذلك بحمل النهى من الرسول على كراهة التنزيه لا التحريم عند بعضهم ، أو اعتماداً على حديث : « الدين النصيحة » ، فيكون حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى بمعنى أن يكون سمساراً له منسوخا .

كما نشير أيضا إلى أنه يجوز بلا ريب أن ينصح الحاضر للبادى ومثله ممن لا يعلم السعر الحق لبضاعته ، فهذا ليس منهيا عنه ، بل لعله يكون واجبا . وكذلك ليس من المنهى عنه أن يكون الإنسان وكيلا لبعض المصانع والبيوت التجارية الخارجية فيبيع لهم ما يصل إليه من منتجاتهم وبضائعهم ، بشرط أن يكون السعر معتدلا والربح معقولا فلا يضار بهذا أهل البلد ، وإلا كان منهيا عنه .

« الحديث موصول »

قال صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى لامرىء شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به ؛ فإنه لن يقدِّم أجله ، ولن يحرمه رزقا هو له » .

« الترمذى »

قلم التسجيل

للإمام الشهيد حسن البنا

« وَوُضِعَ الكِتابُ فترى المُجرمينَ مُشفقِينَ مما فيه ، وَيَقولُونَ : يا وَيْلَتَنَا ! ما لِهَذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرةً وَلا كَبيرةً إلاّ أحْصاهَا ؟ وَوَجدُوا ما عَمِلوا حاضِراً وَلا يَظلِمُ رَبُّكَ أحَداً » .

* * *

كنت أصحح سورة « ن » أمام أستاذى رحمه الله ، فوقفت عند الآية الكريمة : « إنَّا بَلوناهُم كما بَلونا أصحاب الجنة »

وتوجهت إليه بالسؤال فجأة : يا سيدنا الشيخ ! إنك تقول لنا إن الجنة دار نعيم ليس فيها غمٌ ولا كدر ؛ ولكن هذه الآية تقول إن أصحاب الجنة فى بلاء ، فكيف هذا ؟

فابتسم الشيخ رحمه الله ، وقد كان رجلا فيه حلم وأناة وظرف وأدب وعلم وفضل ، وقال : (اسمع يا بنى : إن الجنة هنا ليست جنة الآخرة ، التى وعدها الله عباده المتقين ، ولكنها « جنينة » وحديقة ، كانت لثلاثة من الإخوة اعتادوا أن يُخرجوا من ثمرها كل عام جزءاً للفقراء والمحتاجين ، شكراً لله على نعمته ، وكان الله تبارك وتعالى يبارك لهم فيها بسبب هذا الشكر .

ولكنهم فى عام من الأعوام بيَّتوا أمرهم من الليل وتناجوْا فيما بينهم ألّا يسمحوا لمسكين أن يدخلها عليهم أو ينال من ثمرها شيئاً ، وظنوا وهم يتحدثون أنهم فى خاوة

خالية لا يحضرهم فيها غيرهم ، ولا يسمع حديثهم أحد سواهم ؛ ولكن الله الذى يسمع ويرى ، ويعلم السر وأخفى سمع حديثهم :

« مَا يَكُونُ مِنْ نجوَى ثَلاَثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ، ولاَ خَمسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ، ولاَ أدنى مِنْ ذلِكَ وَلا أكْثَر إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أينَما كانُوا »

وعلم سبحانه وتعالى قصدهم فعاقبهم على ذلك بأن أرسل على « جنتهم » صاعقة دمرتها وهم نائمون ، فلم تُبق فيها ولم تذر ، وأصبحوا يتهامسون ، وانطلقوا وهم يتخافتون :

« ألاَّ يَدخُلَنَّهَا اليَومَ عَلَيكُم مِسكِينٌ ، وَغدَوْا عَلَى حرْدٍ قادِرِينَ . فَلما رَأوْها قالوُا : إنّا لَضالُّونَ ، بَلْ نحنُ مَحرُومونَ » .

وتلك يا بنى عاقبة الذين يظنون أن الله غافل عما يفعلون ، غائب عما يبيتون :

« كَذلِكَ العَذابُ وَلعَذابُ الآخرةِ أكْبرُ لَوْ كانوا يَعلمُونَ ») .

* * *

كان هذا الحديث منذ ثلاثين عاماً تقريباً[1] ، ولكنى أذكره الآن كأنه وقع بالأمس ؛ فقد ترك فى نفسى أعمق الأثر ، وأذكر أنى حدقت بين يدى الشيخ وأنا دائم التفكير فى هذه الرقابة الربانية التى فرضها الله على عباده المؤمنين به ، وأذكر أن هذا التفكير دفع بى إلى التبصر فى كثير من آيات الكتاب الكريم ، وتبع هذا المضى فيه ، فلم أر إحاطةً أعظم ، ولا رقابةً أحكم ، ولا تسجيلاً أتم ، مما صور به القرآن الكريم هذه الصلة بين الله والناس .

فالحق تبارك وتعالى معهم أينما كانوا :

« ولقَدْ خلقْنا الإنْسانَ ونَعلَمُ ما تُوَسوسُ بِهِ نَفسُهُ وَنحنُ أقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبل الوَرِيدِ » ، « وَمَا تَكُونُ فى شأنٍ ، وَمَا تَتلو مِنهُ مِنْ قُرآنٍ ، وَلا تعمَلونَ مِنْ عملٍ إلاّ كُنا عَلَيكُم شُهوداً إذ تُفيضُونَ فيهِ ، وَمَايعزُبُ عن ربِّك مِن مِثقال ذرَّةٍ فى الأرضِ ولا فى السّماءِ ، ولا أصغرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أكبرُ إلاّ فى كِتابٍ

---

(١) كتب هذا الحديث سنة ١٣٦٥ هـ

مُبينٍ » ، « وَهُوَ الذى يَتوفاكُم باللَّيلِ وَيَعلمُ ما جَرحتُمْ بالنَّهارِ ، ثُم يَبعثُكُمْ فيهِ لِيُقضى أجلٌ مُسمى ، ثُمَّ إليه مَرجعُكُمْ ، ثُمَّ يُنبئُكُمْ بما كُنتمُ تعملون »

فهى رقابة تخترق حجب الضمائر ، وتنفذ إلى أعماق القلوب والسرائر .

وليس ذلك فحسب ، ولكن كل لفظ أو قول أو عمل أو فعل محصى مكتوب مسجل مرقوم :

« فى صُحُفٍ مُكَرَّمةٍ مَرفُوعةٍ مُطهرَّةٍ بأيدى سَفرة كِرامٍ بررَة » ، « وَكلُّ شيءٍ فعَلوهُ فى الزبُرِ وَكلُّ صَغيرٍ وكَبيرٍ مُستَطَر » ، « ما يَلفظُ مِنْ قوْلٍ إلَّا لَديْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ » ، « وَكلَّ إنسانٍ ألزَمْناهُ طَائرَهُ فى عُنُقِهِ وَنُخرِجُ لهُ يَوْمَ القيامَة كِتاباً يَلقاهُ مَنشوراً ، اقرأ كتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليوم عليك حَسيباً » ، « وَترَى كلَّ أُمَّة جاثية ، كلُّ أمَّةٍ تُدعى إلى كِتابها ، اليوم تُجزَوْنَ مَا كُنتُمْ تعمَلون ، هَذَا كِتابنَا ينطقُ عليكم بالحق إنَّا كنَّا نَسْتَنسِخُ ما كُنتم تَعمَلون » ، « أمْ أبرمُوا أمراً ؟ فإنَّا مبرِمون . أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرَّهُم وَنَجواهم ؟ بلَى وَرُسلنا لديهِمْ يَكتبون » .

***

ولعل من لطائف صور هذا التسجيل ما ورد فى الحديث أن رجلا قال فى بعض أدعيته ومناجاته : « يا ربِّ لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك » فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبان ثوابها ، فقال الحق تبارك وتعالى : « اكتباها كما قال عبدى ، فإذا لقينى جزيته بما قال » .

ولعل من لطائف صوره كذلك ، ما ورد من : أن العبد إذا ندم وتاب واستغفر محا الله سيئته ، وأنسى جوارحه ما عملت ، ومسح آثار معصيته عن مشاهده ومغانيه وأماكنه ؛ حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب :

« إنَّ الحسنات يُذهبنَ السيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرى للذاكِرين » .

***

وقد تبدو هذه الصورة غريبة مستبعدة أمام أنظار الماديين ، الذين لا يؤمنون إلا عن طريق هذا الحس الغليظ ، مع أنهم يجاهرون بالإيمان بتسجيل الأصوات والأشكال والأضواء وبقائها فى طيات الأثير و« الراديو » والهواء مهما تطاولت بها الأزمان ؛ وليس وراء ذلك من دليل أو برهان :

« سَنُرِيهِمْ آياتنا فى الآفاقِ وَفى أنفُسِهم حتَّى يَتبيّن لهُم أنَّهُ الحقّ ، أو لَمْ يَكف بِرَبكَ أنَّه على كل شىء شهيد ؟ » .

* * *

فيا أيها القارئ العزيز : إن أقواما استشعروا هذه الرقابة فبلغوا فيها مرتبة الإحسان ، وكان أحدهم لا ينطق إلا بما يعلم أنه الخير ، ولا يفعل إلا ما يعود بالفائدة ، بل إن بعضهم فرض هذه الرقابة على خطرات نفسه ، كما أحكمها مع جوارحه وحسه ، وكان يردد وهو يعنى ما يقول :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوماً حكمت بِرِدَّتى

فماذا أنت صانع ؟ وليس أضر على النفوس من الغفلة ، ولا أضيع للفائدة من التسويف ، وقلم التسجيل دقيق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والبر لا يبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديان لا يموت : « ولكل كتابه ؛ فكتاب فى سجين وكتاب فى عليين » :

« فأمَّا منْ أُوتىَ كتابَهُ بيَمينه فيَقولُ هاؤُمُ اقرؤُا كتابيهْ ، إنِّى ظَنَنْت أنِّى مُلاقٍ حسابِيهْ ، فهُوَ فى عِيشةٍ راضِية ، فى جَنَّة عالية ، قُطوفُها دانية ، كلوا واشرَبُوا هنيئاً بما أسْلفتم فى الأيام الخالية » .

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(٦)

نزل الوحى الأمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعبد بغار حراء ، فى فجر القرن السادس الميلادى ، وبإلقاء نظرة عابرة على ظروف العالم السياسية والاجتماعية فى تلك الحقبة من الزمان ، يتضح بجلاء أن الظلام كان ضارباً فوق أركان الأرض كلها ، وأنه لولا هذه الرسالة العظمى ، وانبلاج نورها ، فى ذلك الوقت بالذات لوقف دوران الفلك ، ولما امتد عمر الإنسانية إلى الوقت الذى نعيش فيه .

وحقيقةً قامت حضارات فوق أرض الله قبل القرن السادس من الميلاد ، بل سبقت الحضارةُ ظهور السيد المسيح بأربعة آلاف سنة ، ولكن الإنسانية حتى ظهور الإسلام كانت فى صراع ولجاج بين الخير والشر ، بين الوحدانية التى دعا إليها الأنبياء والمرسلون منذ بدء الخليقة وبين الوثنية الضالة ، فما من نبى أو رسول ، ومنهم عيسى عليه السلام ، إلا وقد حملوا إلى أقوامهم كلمة التوحيد ، وإن الله سبحانه ما خلق الأرض إلا ليُعبد فيها ، وما خلق الناس إلا ليعبدوه ويسبحوا بحمده ، ويؤمنوا بقدرته وأنه لا شريك له فى ملكه .

وقد فشلت الدعوة إلى التوحيد فطغت الوثنية بما انطوت عليه من مظالم واسترقاق للعباد ، وتأليه للطغاة من بنى الإنسان ، وكان اليهود أشد الناس كفراً ولجاجا ، حتى ضاق بهم أنبياؤهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، فلما زيفوا شريعة موسى ، وعبدوا « يهوذا » وأسرفوا فى العصيان ، بعث الله فيهم نبيا خاطبهم ، وهو فى المهد صبيا ، وقال لهم إنى عبد الله آتنى الكتاب وجعلنى نبيا ، ولم يجعلنى جباراً شقيا .

فى ذلك الوقت كانت فلسطين جزءا من أملاك الدولة الرومانية ، ولكن الرومانيين كانوا قد تركوا الحكم فى بيت المقدس لأحبار اليهود ، الذين كانوا

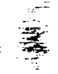
الدعوة إلى التوحيد التى جاءت على لسان عيسى عليه السلام ، وضيَّقوا عليها الخناق حتى بيَّتوا لعيسى وحكموا عليه بالإعدام ، فما قتلوه وما صلبوه ولـكن شُبِّه لهم .

ولو أن الحواريين قد حملوا رسالة عيسى ، بعد أن رفعه الله إليه ، وانتشروا فى الأرض منادين بالوحدانية لـكان ثمة محل للقول بأن الدين الذى جاء به عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، قد بقى فى الأرض ، ولـكن أثبت التاريخ غير هذا ، وقد تتبعنا الحركة المسيحية ، فإذا بها منذ البداية قد زُيِّفت بمعرفة اليهود أنفسهم ، وتحولت إلى صليبية ، شعارها الخرافة السرمدية التى ابتـكرها اليهود اللئام ، لـكى يقطعوا السبيل على الدين الجديد الذى حاول أن يغير من طقوسهم ويردهم عن باطلهم ، فـكان مؤسس هذه الصليبية ، رجل يقال له « بولص » ، كلفه اليهود بمطاردة أتباع عيسى الذين فرّوا إلى دمشق ، والقبض عليهم لسفك دمائهم ، وهناك انقلب من سفاح إلى رجل آخر ، يتحرر من اليهودية ، ويعتنق رسالة المحبة ، وجمع حوله بعض الدعاة ، وكان قصّاصا نبغ فى هذا الفن ، فذهب إلى بلاد الإغريق ولم يلق استعدادا لتقبل كلامه ، وانتهى به المطاف إلى روما ، حيث قضى نحبه هو وزميله « بطرس » حينما أحرق روما عاهلها « نيرون » فى سنة ٦٥ ميلادية .

وبعد سبعين سنة من مولد المسيح ، وبعد أن اختفى « بول » والقلة التى معه ، كُتب أول إنجيل باللغة اليونانية فى بلاد الإغريق ، ثم صيغت أناجيل أخرى فى سنة مائة ، وعندئذ فقط ظهر التثليث وغيره من المسائل التى جعلت الدعوة الجديدة لونا آخر من ألوان الوثنية ، وقد لعب اليهود دوراً كبيراً فى دس عناصرهم والافتراء على عيسى وإشاعة أفكار حملها الذين ادعوا أنهم ينتسبون إلى دعوته ، فـكان الدين الذى بشروا به شيئاً آخر ، يختلف فى جملته وتفصيله عما جاء به المسيح ابن مريم عليه السلام .

ولم تـكن الرغبة فى خير البشرية هى رائد الدعاة بقدر ما كانت لهم مطامع سياسية فى وقت تداعت الدولة الرومانية وآذنت بالزوال ، ولذلك كانت كلما انهارت كسبوا أرضاً جديدة ؛ فلما طرقت الصليبية أبواب روما ، فى القرن الرابع بعد الميلاد ، كانت عاصمة الإمبراطورية قد انتقلت من روما إلى ميلانو ، وكانت الدولة نفسها

قد انقسمت إلى دولتين : دولة الرومان الشرقية ودولة الرومان الغربية ، وكان الفرس قد شددوا النكير على الرومانيين ، وحينئذ وشمس قيصر فى طريقها إلى الغروب ، ظهرت البابوية التى احتلت روما إذ خلت من عرش الإمبراطور . وفى الآثار ما يقطع بأن البابا قد أراد أن يلبس التاج ويصبح عاهل روما ، وصاحب أكبر إمبراطورية ، ولذلك لم يكن عجباً أن تختفى على يد البابوية رسالة المحبة المقول عنها ، ويصبح الدين هو سكنى القصور وجمع الكنوز ، وتعاطى الكؤوس ، وحرق كل من يخالفه ، وفرض نظام الطبقات وإشاعة الفوضى التى استمرت فى أوروبا حتى تسربت إليها الفكرة الإسلامية : فكرة الحرية والإخاء والمساواة ، وتبلورت فى أواخر القرن الثامن عشر .



وجملة القول أن الناس ، قبل مولد رسول الله ، كانوا عبدة أوثان حتى وإن ادعوا الإيمان برسالة واحد أو آخر من الرسل الذين انقطعت الصلة بينهم وبين المخلوقات ، وكانت المظالم فاشية فى الشرق والغرب ، وكان الصراع على أشده بين طغاة الروم وطغاة الفرس والبابوية التى تطلعت إلى الملك والجاه باسم الدين وتحت ستارة ، وأضحت طرائق العيش صوراً متعددة من المفاسد والآثام والمظالم الرهيبة .

وما كان الله ليدع الناس فى ربقة الكفر والجهالة إلى غير غاية ، فحينما وقفت الدعوة إلى الخير ، وكاد الرقى الإنسانى أن يختفى وتهددت البشرية بالعودة إلى الغابة — بُعث محمد عليه السلام رحمة للعالمين ، فدعا للتحرر من الشرك والإيمان بالله الذى لا شريك له ، وحمل رسالة شاملة نزلت من عند الله جل وتعالى ، لتقيم دولة عظمى تريح شعوب الأرض من الجهالة ، وتنقذها من المظالم ، وتعيد الفلك إلى دورانه .

وهذه الدولة لها مثالية لم تنعم بها أية دولة كبرى سبقتها أو جاءت بعدها ، وهذه المثالية التى هى دعامة الدولة الإسلامية ، هى التوحيد .

والتوحيد له فى رأيى معنى سياسى وقانونى ، لم يفطن إليه الكثيرون ؛ فالتوحيد ثورة ضد طغيان الفرد ووقاية ضد ظلم الإنسان للإنسان ، وهل هناك تحرر من طغيان البشر أروع من الإيمان بأن الله هو خالق الكون ، وأن القوة لله جميعاً ، وأن السلطة لله وحده ، وأن الخير بيده سبحانه وإليه المصير ؟ .

هذا المعنى رد للفرد شعوره بشخصيته وبكرامته كإنسان ، وبأن له حرمة فى نظر القانون ، وأنه لا توجد قوة فى الأرض تستطيع أن تجرده من حقوقه كإنسان ، وإن حاولت فهو مطالب بالثورة عليها . ولذلك نستطيع أن نقول إن الفرد هو حجر الزاوية فى بناء الدولة الإسلامية ، وهذا المعنى هو آخر ما وصل إليه الفقه الدولى فى العصر الذى نعيش فيه ، فبعد أن أعلنت الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان فى سنة ١٩٥٠ ، قال علماء القانون العام إن الفرد هو دعامة الدولة ، وقد سبقهم الإسلام لهذه الفكرة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

وهناك ناحية أخرى فى الإسلام رائعة ، ذلك أنه لم يقيد الدولة الإسلامية بحدود جغرافية فالدين الذى أوحى به إلى محمد هو دعوة للناس كافة ، ولذلك كانت الكرة الأرضية كلها هى الرقعة الطبيعية للدولة الإسلامية ، ومن أجل هذا كان الإسلام ثورة ضد العصبية القبلية والعصبية العنصرية ، فمن شأن مبادئه السامية التى نادت بحرية الإنسان وحقوقه المقدسة ، ومساواة البشر أمام القانون وإن اختلفت أجناسهم وأوطانهم ولغاتهم ، أن تذوب العنصرية وتقوم محلها عصبية إسلامية لا تفرق بين الناس وإنما تفاضل بينهم بقوة الإيمان بالله وبصالح العمل وحده ؛ فالوطنية بالنسبة لأى مسلم هى الدين الحنيف الذى يدين به ، ولا عزة له إلا بهذا الدين ومبادئه .

والعجيب أن هذه الفكرة العميقة قد اقتبسها فى العصر الحديث آخرون ، وطبقوها محرفة مشوهة ، ولبواعث تختلف جملة وتفصيلا عن البواعث النبيلة التى انطوت عليها فكرة الدولة فى الإسلام ، فالدولية التى نادى بها الشيوعيون ، أرادت أن تحاكى هذا المعنى ولكنها فشلت ، ومحال أن يكتب لها النجاح لأنها دولية هدامة ومخربة ومعتدية . بيد أن الدولية الإسلامية هى دولية خلقية تنشد الإصلاح لذاته وتروم الخير لذاته ، ولا تطلب غير مرضاة الله الواحد القهار .

وقد جاءت الأوامر صريحة فى القرآن الكريم للذين آمنوا بدعوة سيد المرسلين أن يحملوا المشعل ، وينطلقوا فى الأرض مجاهدين ومقاتلين لإنقاذ البشرية من مهاوى الضلال ، ولهذا كانت الفتوح الإسلامية فريضة فرضها الله على عباده المؤمنين ، وحبب إليهم بذل دمائهم وأموالهم وكل ما ملكت أيديهم من متاع الحياة الدنيا فى سبيل

نشر رسالته وتغليبها على الوثنية الدينية والسياسية والخلقية، وثمن الجهاد فى الإسلام كبير جداً ؛ فالله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل هذا الثمن عرضا من أعراض الحياة الدنيا وهى تافهة وموقوتة بحياة الفرد التى تنتهى إلى الفناء، وإنما جعل الثمن أكبر من الدنيا وما فيها، وأعظم من تيجان الملوك وخزائن الأرض وما حوت ؛ فثمن الجهاد والاستشهاد فى نشر الدعوة الإسلامية جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، وليس ثمة أعظم ولا أكبر من هذا الذى وعد به الرحمن ووعده الحق، لا تبديل لكلماته .

وبهذه الخطوط الواضحة والمعالم الظاهرة خرج المسلمون فى زمن الخلفاء الراشدين من جزيرة العرب يحملون رؤوسهم على أيديهم، ولا سلاح لهم إلا الإيمان، وقوة العقيدة وصدق العزيمة، ولا مطمع لهم إلا نعيم الآخرة، ولا يبغون عدوانا على حرمة أو انتهاكاً لحق، بل رائدهم تحطيم الوثنية ودك عروش الطغاة ومحو الفساد من الأرض بشتى صوره وألوانه، وإفساح المجال للمواهب البشرية كى تعمل فى ميادين الإنتاج المختلفة، وتبنى ولا تهدم، وترشد إلى الخير ولا تدفع إلى الضلال، وأولئك استطاعوا بسرعة خاطفة أن يمحقوا دولة الفرس شرقا ودولة الروم غرباً، وأن يحكموا حكماً صالحاً، أساسه القرآن، وسنته ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال ومن أفعال، ولذلك حمل الحكام المسلمون فى الصدر الأول ميزان العدالة البشرية فى أيديهم بكل دقة وأمانة، ودخل الناس فى دين الله أفواجا بل شعوبا مهللة مكبرة وشاكرة لأولئك الذين انتشلوهم من المظالم ورفعوهم من الأوضاع الاجتماعية التى عوملوا بمقتضاها معاملة الدواب والأنعام، وبيعوا كما تباع السلع، إلى مرتبة الإنسان الذى كرمه خالقه ؛ فعم الخير وشاعت الثقة والطمأنينة، واستتبت أحوال المعيشة فى كل مكان رفرفت عليه الراية الإسلامية .

ولكن تآمر على الإسلام، منذ الفتوحات الأولى أعداؤه الذين لم يهد الله قلوبهم لنوره، وبيّتوا له منذ وقت مبكر، فمصرع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كان بداية للمؤامرات، وقد حاول الفرس أن يستردوا المجد الضائع بعد أن نجحوا فى اغتيال عمر بيد الفاجر الذى طعنه وهو يصلى لربه، ولكن استطاعت الدولة الإسلامية أن تنقذ

الفرس من العودة إلى حكم كسرى والظلام الذى تبدد . وفى زمن الخليفة الثالث ، عثمان بن عفان اتسعت رقعة الفتح الإسلامى ولكن كانت الدسائس تحاك وكان الروم يبيِّتون ، وكانت البابوية فى أوروبا تمد وتستمد ، ولم يتجاسر أولئك الذين أبقوا على الضلالة على منازلة الإسلام الزاحف منازلة جدية إلا بعد قرون ، حينما اشتغل المسلمون أنفسهم بأمور الدنيا ، ونسوا أنهم ما خلقوا إلا للجهاد والنضال فى توثيق رقعة الدولة الإسلامية وإقامة حكم إسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها .

ومع ذلك حدثت مناوشات عن طريق البحر فى أيام عمر ، وفى عهد عثمان،وكان معاوية والياً على الشام، وقد شعر أن الجيش الإسلامى يعتمد على المشاة والقوى البرية ، وأن الروم يطلقون قراصنتهم بحراً ، ويحلمون باستعادة بلاد الشام ، ففكر فى بناء الأسطول ؛ والأسطول هو عماد أية دولة قامت فى التاريخ .

فالثابت أن مصر الفرعونية بلغت أوج قوتها بأسطولها الذى كان يهيمن على البحار ، وكانت كلما أهملت الأسطول وارتخت قبضتها على الماء منيت بغزو أجنبى ، فمثلا غزاها الهكسوس لما ضعفت قوتها البحرية . والأسطول المصرى هو الذى نقل الحضارة والتفكير والفلسفة إلى بلاد الأغريق،ولكن لما أهملت مصر قواتها البحرية ورجحت عليها أساطيل الجزر الإغريقية استطاع اليونان أن يحتلوها ، ويقيموا فوق أرضها حكما إغريقياً ، ولما تطاحنت إسبرطة وأثينا ، وضعفت قوة الإغريق البحرية لم تنفعهم فلسفتهم وعلومهم ، وزالت دولتهم وقامت على أنقاضها دولة الرومان التى تفوقت بأسطولها فى البحر الأبيض المتوسط ، ولما أهملت القوة البحرية دب فى جسمها دبيب الفناء ؛ فالبحر هو الدعامة التى لا غناء عنها لإقامة دولة حرة ؛ وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولذلك كان طبيعياً أن يفكر معاوية فى بناء أسطول إسلامى يدرأ به كرات الأعداء ، وعرض الفكرة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم تتم فى عهده ، ونجحت فى زمن عثمان . وقد استمرت سياسة الفتح شرقاً وغرباً طوال حكم الدولة الأموية ، حتى وصلت رقعة الإسلام شرقاً إلى أقاصى الصين ، وعبرت غرباً جبال البرانس ، وسارت الجيوش الإسلامية المظفرة فوق أرض فرنسا ، وكان مقدراً لهذا الفتح أن يستمر ، حتى لا تبقى بقعة فى أوروبا فى ربقة الوثنية والهمجية

القديمة ، ولـكن سبق فى علم الله سحبانه وتعالى أن تبق الأرض امتحاناً لبنى الإنسان ، وإلا لو تقبلت أوروبا النور الإسلامى ، واختفت البذرة الصليبية ، وتلاشت عوامل الحقد والدس والـكيد للإسلام والمسلمين ، وأذعنت الأرض كلها لله وحده ، وآمنت برسالة نبيه محمداً عليه السلام ، وطبّقت شرعه وحكمت بمقتضاه ؛ لو حدث هذا لـكانت الحياة الدنيا جنة لبنى الإنسان ، وهذا مخالف للحكمة فى خلق الحياة الأرضية وجعلها مرحلة خاطفة يستمر فيها الصراع بين الخير والشر ، أو بين الشيطان والإيمان . ولذلك ولأسباب تافهة لا تعدو أن تـكون مخاوف ساورت نفس الخليفة الأموى الذى ظن أن استمرار الفتح فى أوروبا يقوى ساعد موسى بن نصير فيستقل عن الدولة — نقول لولا هذا الخوف لدخلت أوروبا كلها فى دين الله .

أما وقد حدث ما حدث ووقفت الفتوح ، فقد استطاع الشيطان أن يلتى جراثيمه فتفرخ فى نفوس الصليبين الذين أعدوا ما استطاعوا للانقضاض على الإسلام ، ومحاولة تحطيم العقيدة الإسلامية التى تعد بمثابة صخرة لا يمكن أن تدع طريقا لأعداء المسلمين مهما أعدوا من قوة ومن رباط الخيل ؛ فـكان هذا التدبير نواة للحروب الصليبية التى قامت بعد قرون طوال ، ثم فشلت كراتها المسلحة ولـكنها استمرت حربا بارده على مدى السنين والأيام حتى تأصلت وصارت استعماراً ضربوه على بلاد المسلمين جميعها ، وسنبين هذا كله وأسبابه فى مقالات تالية إن شاء الله .

من التصرفات الغريبة أن أشخاصاً عديدين يفشون لك أسرار الناس ليؤكدوا لك أنك تستطيع أن تثق بهم .

بين يدي الرسول :

من ملامح هذا الدين

دين معرفة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » .

« رواه أحمد وابن حبان والحاكم »

دين عاطفة

قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ : إني أحبك في الله . فقال له : أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال : « هم المتحابون في الله تعالى » .

« رواه أحمد والحاكم »

دين اجتماع

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ، ثم قال : « ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ؛ وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون ، أو لأعاجلنهم العقوبة .. » .. ثم نزل ، فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قال : الأشعريين ، هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياة والأعراب . . . فبلغ ذلك

الأشعريين ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله : ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ . . . فكرر عليهم ما قاله فى خطابه آنفا . فقالوا له إيانا عنيت ؟ فأعاد عليهم القول نفسه ، فلما تأكدوا أنه عناهم قالوا : أمهلنا سنة . فأمهلهم سنة ليتعلموا جيرانهم ويفقهوهم » .

« رواه الطبرانى »

دين الحكومة الحازمة

قالت عائشة رضى الله عنها :

كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها ، فأتى أهلها أسامةَ بن زيد (وكان رسول الله يحبه) فكلموه . فكلم النبى فيها ، فقال له النبى : « يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل » ثم قام النبى خطيباً فقال : « إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها — فقطع يد المخزومية »

« رواه أبو داود والنسائى »

دين الأمة الموحدة

قال عرفجة الأشجعى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

« رواه أحمد ومسلم »

دين الكفاح المطهر

روى محمد بن إسحاق فى المغازى :

قال صلى الله عليه وسلم فى شأن « حنظلة » شهيد غزوة أحد :

« إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة . فقال رسول الله : « لذلك غسلته الملائكة » .

« رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى »

كارثة فلسطين

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

إن قلم المؤرخ ليرتجف وهو يحاول أن يخط أسطراً من أنباء هـذه المأساة ، بل الـكارثة ، بل الفاجعة ! فقلما يعرف المؤرخ فى سجل المآسى الإنسانية التى تعيها ذاكرته ، وما اقترنت به من آلام وأحزان ، وفيما دُوِّن من أعمال القَهر والظلم والعدوان والأحقاد العنصرية والمؤامرات الدولية مايضارع هذه الـكارثة فى هولها أو فى فداحة نتائجها . ولـكن التاريخ لاينبغى له أن يتأثر بما يُدوّن من أحداث ؛ وأولى له أن يلتزم مهمته الأساسية : وهى أن يسجل الحقائق مجردة كما هى ، ويقدم عنها صورة صحيحة كما حدثت فى دائرة الواقع .

كان اليهود فى القرن الماضى فى فلسطين لا يزيد عددهم عن عدد أفراد أية جالية أجنبية تعيش فى أى قطر من أقطار الشرق ، ويقدّر عددهم إذ ذاك بنحو ثمانية آلاف . وبينما كان اليهود مشردين مضطهدين فى كل مكان من أنحاء أوروبا ، ولاسيما فى روسيا القيصرية وبولندة والنمسا — وما كانت أوروبا ، شعوبا وحكومات ، تعاملهم أبداً طوال العصور إلا بمنتهى القسوة وتسومهم ألوان العذاب والذلة — كانوا يعيشون فى فلسطين وفى غيرها من أقطار العالم الإسلامى آمنين مطمئنين يتمتعون بكافة الحقوق المدنية والدينية ، كما لايزالون يعيشون فى هذه الأقطار إلى اليوم . ولـكن ما كان يجول بخاطر أحد ، وما كان يحسب أحد أنه يكون فى حدود التصور المعقول ، أن هذه الأقلية الدينية الغريبة عن الديار ، والتى تُركت تعيش فى فلسطين فى كنف المسلمين وبفضل تسامحهم وكرمهم ، واتخذت من وطنهم ملجأ تلوذ به من اضطهاد الأوربيين وعسفهم ومطاردتهم — أن هذه الفئة ستصبح فى يوم من الأيام مصدرخطر على أهل

البلاد أنفسهم ، ويزداد شأنها حتى يكون لها كيان سياسى ، ثم تستطيع أن تتحدى السكان الأصليين ، بل تمشق فى وجوههم الحسام ، وتعلن نفسها « دولة » فى قلب البلاد بعد أن تكون قد أخرجت أهليها إلى حيث يعيشون فى القفر والعراء ، عيشة البُدائيين فى أسوأ الحالات ، يموتون بالآلاف ، ويُهدد من بقى منهم بالفناء ! ولكن هكذا شاء الاستعمار وشاءت إرادة الدول المتعصبة الكارهة للإسلام ، التى تحاربه أبد الدهر ولاتريد به و بأهله إلا شرا ، وإن كان هؤلاء غير شاعرين تماما بما يراد بهم وغير مدركين مدى الخطر المحدق بهم . فما شأن هذا الخطب ، وما أصل ذاك البلاء ؟ وكيف وقعت تلك الكارثة التى تعد أكبر كارثة فى تاريخ الشرق الأوسط فى العصر الحديث ؟

إن أبعد آمال اليهود التى كانوا يطمعون فى تحقيقها عمليا ، حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، كانت هى أن يجدوا ملجأ آمنا يأوون إليه من اضطهاد أوربا المسيحية لهم ، ويستطيعون أن يضموا فيه شتات أبناء طائفتهم المبعثرين فى كل صقع على وجه الأرض ، ويتلقون من يفد إليهم كلما طافت بأوربا موجة من الاضطهاد ، وذلك كله تحت رعاية وفى كنف أية دولة تكون مستعدة لأن تؤويهم وتعترف لهم بهذه الحقوق المحلية، وتبسط سلطان حمايتها عليهم . وإن كانت أنظارهم كانت تتطلع إلى فلسطين فى المقام الأول ، باعتبار أنهم يريدون أن يُرجعوا التاريخ إلى ما قبل نحو ثلاثة آلاف عام ، أى قبل أن يستولى عليهم ويسبيهم وينفيهم الأشوريون والبابليون ويدمرهم ويقضى عليهم نهائياً ويشردهم كل مشرد فى الأرض الرومان . . ولكن فكرتهم لم تصر محددة ، ولم يبدأ الدور الإيجابى لحركتهم ، وتتبلور عقيدة « الصهيونية » وهى المطالبة بالرجوع إلى « صهيون » — اسم القدس فى العهد القديم — أرض الميعاد ، لتأسيس وطن قومى ، إلا حين قام « تيودور هرتزل » الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للصهيونية يدعو إلى هذه الفكرة بحماس ، ويضع نظاما عمليا لتحقيقها ، وألف كتابه « الدولة اليهودية » فى عام ١٨٩٥ حدد فيه أهداف الفكرة واستحث أبناء طائفته أن يسعوا لتنفيذها ، وحاول أن يؤيدها بما أمكن أن يعثر عليه من حجج وأدلة . حينئذ بدأ النشاط وتوالى عقد المؤتمرات فيما بين عامى ١٨٩٧ و ١٩١١ عقدت

عشرة مؤتمرات كان المؤتمر الأول منها فى «بازل» بسويسرا ، وكان من بين القرارات التى اتخذت : تشجيع حركة الاستعمار فى فلسطين فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ، وتنظيم عناصر اليهود وتوثيق الروابط بينهم بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية ، وإحياء الشعور القومى وتعليم اللغة العبرية وإنشاء المدارس وإيجاد صندوق توفير يهودى وجمع الأموال والمنح لتنفيذ المشاريع ؛ وقد حدد الغرض من الحركة الصهيونية حينذاك بأنه السعى لإيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين ، على أن يكون مضمونا من الدول ويعترف به اعترافا دوليا .

وظل « هرتزل » يجاهد فى سبيل دعوته — وكان كثير من اليهود لا يؤمنون بها بل يتوجسون منها خيفة لاعتقادهم أنها تضر بمصالح الطوائف المتوطنة فى بلاد الشرق — وطفق يعمل لتأسيس الجمعيات وجمع التبرعات وفتح المصارف لتمويل الحركة ، حتى كان من بين جهوده أنه توجه إلى السلطان « عبد الحميد » وسعى لديه أن يمنح اليهود أراضى فى فلسطين ويفتح أبوابها لوفود المهاجرين ، فى مقابل منافع مادية وسياسية عرضها عليه ؛ ولكن الصفقة لم تتم إما لأن السلطان ، وقد كان على استبداده ذكيا ، أدرك خطورة الحركة — وهذه إذن تعد من الحسنات التى ينبغى أن يسجلها له التاريخ — وإما لأن الثمن الذى اشترطه كان باهظا فلم يستطع اليهود الوفاء به . وفى تلك الأثناء أظهرت انجلترا عطفها على المشروع فعرض اللورد « كرومر » على اليهود أن يستعمروا شبه جزيرة « سيناء » وذهبت بعثة بالفعل ١٩٠٣ لترتاد الأرض ، ولكن صعوبات مادية من بينها قلة المياه قامت دون تحقيق الفكرة ؛ فعرض عليهم ثانية وزير المستعمرات الإنجليزى « جوزيف تشمبرلن » فى نفس العام أن يقطعهم مساحات واسعة فى شرق إفريقية ، فرحب كثير من اليهود بهذا العرض ، وعدوه على كل حال دليلا على صداقة انجلترا وعطفها على قضيتهم — وقد استمرت هذه الصداقة إلى ما بعد ذلك — ولكنهم انقسموا حياله ؛ فحين وُضع الاقتراح أمام المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى عام ١٩٠٥ قررت الأغلبية رفضه ، لأن شرق إفريقية ليس صهيون . وكان « هرتزل » قد مات فى عام ١٩٠٤ خائب الأمل غير متجاوز الرابعة والأربعين من عمره وهو يشعر أنه على وفرة نشاطه وكثرة الجمعيات التى ألفها

لم تكن آماله تبدو قريبة التحقيق . ثم مرت الحركة فى دور جمود بعده ، وكثر الشاكون فيها حتى من بين صفوف اليهود ، وباتت تظهر فى أعين الساسة على أنها حماقة أو وهم وخيال ، كما صرح بذلك المستر « أسكوث » نفسه الذى كان رئيس وزراء انجلترا قبيل الحرب وفى أوائلها .

فهكذا يتبين أنه حتى وقت نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كانت « الصهيونية » تبدو وكأنها ليست أكثر من مشروع نظرى أو فكرة خيالية ، ولم تكن تعدو أن تكون أملا يداعب خيال بعض المتعصبين إذ لم تكن الوسائل لإنشاء الوطن القومى — فضلا عن الدولة — موجودة ، وما كان يمكن أن توجد. ولكن هؤلاء المتعصبين المتحمسين لم يفقدوا الأمل ، فبعد أن كاد اليأس يدب إلى قلوبهم إذا به يحيا من جديد لظهور رجال جمعية « الاتحاد والترقى » الذين أخذوا يعملون بهمة ونشاط لتقويض الوحدة الإسلامية متبعين سياسة « التتريك » أو التعصب القومى ويهدمون بناء دولتهم بأيديهم . وكان اليهود يحسون بقرب تفكك الدولة وهم يعلمون نيات الدول الاستعمارية نحوها ونحو أملاكها . وحانت لهم الفرصة النادرة التى لا يسمح بمثلها الدهر حين اندفع رجال الاتحاد فى جهالة وغرور وتهور ، فاشتركوا فى الحرب الأوروبية سنة ١٩١٤ وأعلنوا انضمامهم إلى جانب ألمانيا ، إذ أنهم بذلك العمل الطائش قد زجوا بالعالم الإسلامى كله فى أتون الحرب ، ويسروا السبل أمام مطامع الاستعمار ، وأعادوا فتح باب « المسألة الشرقية » على مصراعيه ، فحل إذن دور التصفية . وكانت هذه الطامة الكبرى التى لم تود فقط برجال الاتحاد والترقى ، بل كان على أمم الشرق العربى أن تدفع هى ثمن جهالاتهم وأخطائهم وحماقاتهم . أسرعت انجلترا وفرنسا والصهيونية فعقدوا فيما بينهم حلفاً على تقسيم الولايات التابعة للدولة والتهامها . وكانت حركة الأمل الجديدة قد أظهرت زعيما آخر هو الدكتور « حاييم وايزمان » ولم يكن مشهوراً من قبل ، بل كان أستاذاً فى جامعة « مانشستر » وعاون الحلفاء فى صناعات الكيمياء والمفرقعات ، فنهض يعمل لتحقيق الفكرة الصهيونية ، وأخذت بيوت الأموال اليهودية تساوم وتعرض إغراءاتها ، وصار وايزمان — ومن ورائه رجال الأعمال من أمثال « روتشيلد » يؤيدونه —

يقابل كبار الساسة والزعماء ، حتى ظفر بأن حصل على التأييد الكامل من انجلترا لمشروع « الصهيونية » . وكانت انجلترا فى نفس الوقت تساوم « شريف مكة » وغيره من زعماء العرب ، ونجحت فى أن حملته على أن يدخل فى الحرب ويساعدها بكل قواته دون أن يأخذ منها موثقا صريحا ، ومكتفيا بالخطابات السرية ، وغير شاعر أيضاً بخطورة أغراض الاستعمار أو اليهود ، ولم تكن انجلترا تنوى غير الغدر بالعرب ، ولم يكن لها من قصد إلا استغلال قواهم وجهودهم حتى يتيسر لها النصر . أما «وايزمان» فقد ظفر بتصريح خطير أعلنه وزير خارجية انجلترا بنفسه على العالم سنة ١٩١٧ وفيه لم يدع الإنجليز شكا فى أنهم قد احتضنوا القضية الصهيونية ، وأنهم عاملون وسيعملون على تأييدها ، ورعاية الوطن القومى اليهودى منذ نشأته حتى يبلغ مرحلة نضجة . وحينئذ دخلت الصهيونية فى دورها الجديد : دورها الخطير الإيجابى ، الذى كانت له أكبر الآثار فى تاريخ الشرق .

وفى المقال التالى سنحاول — إن شاء الله — أن نشرح ذلك الدور .

ويحك يا ابن آدم

« نضحك ولا ندرى لعل الله قد أطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئاً . ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ إنه من عصى الله فقد حاربه ، والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب . ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه . ولقد رأيت أقواما يمشى أحدهم وما يجد عنده إلا قوتا فيقول : لا أجعل هذا كله فى بطنى ، لأجعلن بعضه لله عزو جل ، فيتصدق ببعضه ، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه » .

« الحسن البصرى »

قصة تمثيلية :

المشرك الأول

للأستاذ على أحمد با كثير

(١)

(فى بيت جابر بن سهل الخزاعى بمكة)

جابر : [يستقبل مسعود بن وائلة الجرهمى] مرحبا بك يا مسعود . متى قدمت البلدة ؟

مسعود : الساعة يا جابر .

جابر : كأنك آثرتنى بالنزول عندى ؟

مسعود : نعم .

جابر : بوركت من صديق كريم . لقد كنت والله حريًا أن تنزل عند صديقك الآخر الذى أصبح علما فى الناس ، بل أصبح إلهاً يعبد !

مسعود : عمرو بن لحىّ ؟

جابر : أجل فتجد عنده من التكرمة ما لا تجد عند فقير مثلى .

مسعود : فمن أجله قدمت من بادية قومى

جابر : لتدخل فيما دخل الناس من دينه ؟ .

مسعود : معاذ الله يا جابر أن أشرك بربى وأنسلخ من دين إسماعيل وإبراهيم .

جابر : غداً يمتد هذا الشرك إلى ديار قومك فيهديهم عمرو وثناً من أوثانه يعبدونه هناك .

مسعود : أجل هذا والله ما أشفق منه . لا ينبغى لجرهم أن تكفر بدين إسماعيل .

جابر : ولا لخزاعة يا مسعود ، ولكنها فتنة ابتلانا الله بها على يد هـذا الفاسق الفاجر .

مسعود : وكيف سكتم أنتم على ذلك ؟ كيف سكتَّ أنت يا جابر ؟

جابر : لقد قاومته فى أول الأمر وحاولت أن أثنى الناس عنه ولـكننى لم أفلح فلقد هموا أن يثبوا بى ، فسكتُّ يا مسعود على مضض حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

مسعود : ليت شعرى كيف استطاع عمرو أن يصنع هذا الذى صنع ؟

جابر : إن لذلك حديثاً يطول يا مسعود ، وما إخال سماعه يعنيك بعد أن كان ما كان .

مسعود : بلى إن ذلك ليعنينى ، فبالله عليك إلا ما حدثتنى به .

جابر : أخشى أن تـكذّب حديثى كما كذبه غيرك .

مسعود : ويحك يا جابر كيف يكون ذلك ؟

جابر : لا تعجب فإنى لأجدنى أحيانا أُوشك أن أرتاب فى صواب ما اخترت لنفسى من الامتناع عن الدخول فيما دخل فيه الناس من حولى .

مسعود : معاذ الله يا جابر ومعاذ دينك وتقواك . هلم حدثنى كيف بدأ هذا الذى أحدثه عمرو بن لحىّ ؟

جابر : لعلك تذكر ما كان يكنه عمرو لهانئ ابن عمه من الحسد والغيرة أن كان هانئ وجيها فى قومه لغناه وجاهه وهو فقير .

مسعود : أجل أذكر بعض ذلك .

جابر : فآلى عمرو على نفسه ليرحلنّ فى طلب الغنى وليعودنّ بالوفر العريض فليرتدينّ حلة من الدمقس يجر ذيلها فى البطحاء فتتحدث عنها عواتق مكة فى خدورها .

مسعود : فارتحل إلى الشام .

جابر : نعم فانقطعت عنا أخباره بضع سنين ، وكانت أختى سعدى عنده فوجدت عليه واستيأست من معاده فلحقت بى . ثم ما راعنا ذات ليلة إلاّ أن طرق بابنا طارق فإذا هو عمرو ، فأخذ سعدى معه إلى داره . وأصبح الصباح وخرجت لأزوره فإذا المدينة كلها تتحدث عن إله هبط من السماء واستقر فى فناء دار عمرو بن لحى .

مسعود : هُبل ؟

جابر : نعم ، فلقيت عمراً وكلمته فى هذا الحدث الذى أحدثه فقال لى : إن كنت فى شك من أمره فسل أختك فقد شهدته حين هبط من السماء .

مسعود : فماذا قالت أختك ؟

جابر : أيدت صدق مقالته أوّل الأمر حتى غضبتُ منها فقاطعتها . وطفق أتباع عمرو يكثرون وهو يُحدث لهم كل يوم بدعة من بدعه فيتخذونها شرعة . وتناقلوا بينهم أن هبل يشفى مرضاهم ويقضى حوائجهم ويهب الولد لنسائهم العقم ، فصاروا يقدّمون له النذور والقرابين ، فما لبث عمرو أن أثرى وكثر فى يده المال فكان ينفق منه بغير حساب ويطعم ويكسو ويقرى الضيف والحجيج ، فعلا صيته وبلغ الذى بلغ .

مسعود : وهذا الوثن قدم به عمرو من الشام ؟

جابر : نعم قدم به على راحلته ولكنه زعم للناس أن إلهه هذا كان يسير فى أعلى السحاب ، وما زال يساير عمراً حتى بلغا مكة فهبط حيث هبط فى تلك الليلة التى قدم فيها عمرو .

مسعود : وكيف علمت ذلك ؟

جابر : حدثتنى بذلك أختى سعدى آخر الأمر لما تغيّر ما بينه وبينها فنشزت عنه ولحقت بى ، وما لبثت أن قضت نحبها هنا عندى . الحمد لله : ما ماتت حتى كفرت به ورجعت إلى الحنيفية .

مسعود : الحمد لله . ولكن ما الذى غيّرها عليه ؟

جابر : رأته يواصل النساء ويفجر بهن فى الدار التى اتخذها نديًّا له وكان يزعم لها أن ذلك يحل له ، وكانت هى تحبه فلم تستطع صبراً على ذلك فماتت كمداً .

مسعود : ألم تكن تعلم من أول الأمر أنه كاذب ؟

جابر : بلى . ولكنه عزم عليها أن تشهد له أمام الناس بصدق ما كان يزعم من مخاريقه وترهاته فما وسعها إلا أن توافقه حباً به ، إلى أن غارت عليه من النساء فجاهرت الناس بكذبه ، ولكن بعد أن عظم أمره فلم يصدقها أحد .

مسعود : هل حدثتك أختك كيف عثر على هذا الوثن ؟

جابر : كانت تقول إن عمراً لم يفلح فى تجارته بالشام فكاد يقتل نفسه يأساً لولا أن مرّ ذات يوم على قوم من العماليق يعبدون الأصنام ، فنزل عند كاهنهم فأضافه وأكرمه وأقام عنده عمرو برهة . وكان هذا الكاهن ثريًّا تأتيه الأموال وهو قاعد لا يعمل شيئاً ، فخطر لعمرو أن يصنع مثله فطلب منه أن يعطيه صنما من أصنامهم ليسير به إلى أرض العرب ، فأعطاه الكاهن هذا الصنم وراحلة تحمله ومالاً كثيراً .

مسعود : قبحاً له فقد غيّر دين إسماعيل من أجل المال .

جابر : أجل ليبر القسم الذى أقسمه ، وقد فعل .

مسعود : إنى أريد أن ألقاه يا جابر وأخلو به فأعظه وأنصحه لعله يسمع لى فيرعوى عن غيه هذا الذى فتن به الناس :

جابر : هيهات يامسعود . . لئن رجع بعد فلن يرجع الناس عن هذا الشرك بعد ما أباح لهم المسكر والميسر والهنات الأخر ، وبعد أن صار هبل وأنداده أعظم فى قلوبهم من الواحد الأحد الذى لا تدركه أبصارهم .

مسعود : قد تنفع الذكرى يا جابر . وقد كان لى بعض الفضل عليه فيما سلف وكان ، يحبنى ويعزنى ، فهل لك أن ترسل غلامك إليه ليقول له إنى هنا عندك وإنى أشتهى أن أجتمع به ؟

جابر : حبا يا مسعود وكرامة وإن كنت لا أطيقه ولا هو يطيقنى بغضا .

(٢)

(فى دار عمرو بن لحى)

عمرو : [لصاحبه وحواريه عامر [هل تذكر يا عامر كم نحرنا للحجيج فى الموسم الماضى ؟

عامر : نحرنا لهم خمسة آلاف بدنة .

عمرو : وكم كسونا ؟

عامر : كسونا ستة آلاف حلة .

عمرو : فلننحرنّ لهم هذا العام عشرة آلاف بدنة ولتكسونّ عشرة آلاف حلة

عامر : إذنْ تصفر الخزانة يا عمرو .

عمرو : لا تخف . إن هبل معنا . كلما زدنا فى الإنفاق زادنا هبل غنى . سوف تأتينا النذور من جميع قبائل العرب . انطلق يا عامر فأحص ما عندنا من البدن لنرى كم ينقصها .

عامر : سمعا يا عمر [يهم بالخروج] .

عمرو : وائذن لمن بقى بالباب من الزوار .

عامر : سأفعل [يخرج] .

[يدخل شيخ كبير ورجل كهل وامرأة شابة وضيئة فيركعون جميعاً لعمرو ويلثمون فضل ردائه] .

عمرو : مرحباً يا أحبّاء هُبل ! ما حاجتكم ؟ أنت أولاً يا شيخ العرب .

الشيخ : جئت أيها الصفىّ أستفتيك فى فحل لى لما يمض عليه عندى غير خمس حجج .

عمرو : أو قد شهد لفحلك هذا نتاج نتاجه ؟

الشيخ : نعم .

عمرو : فهو حام لا يركب ظهره ولا يمنع عنه كلأ ولا مرعى .

الشيخ : فلمن هو يا عمرو ؟

عمرو : هو لله .

الشيخ : كلا لا أريد أن أهديه لله بل لهبل !

عمرو : ويلك أيها الشيخ إذا أهديته لله فقد أهديته لهبل و إذا أهديته لهبل فقد أهديته لله . إنهما شيء واحد . انصرف مباركا لك فى مالك ! ويرعاك هُبل !

الشيخ : [يهتف فرحاً] اعلُ هُبل ! اعلُ هبل : [يخرج] .

المرأة : وأنا أيها الصفى . . . .

عمرو : [يغمز لها جفنه] انتظرى أنت . هذا السيد أولاً . ما حاجتك ؟

الكهل : جزيت الخير أيها الصفىّ . . إن زوجى عليلة دنفة فادع لى هبل أن يشفيها لى .

عمرو : إنى أراك على يسار فكم تنذر لهبل إذا شفاها لك ؟

الكهل : عشرين ناقة .

عمرو : ألا تستطيع أن تضعّفها ؟

الكهل : لا يا ابن لحى . . أنها نصف ما أملك .

عمرو : أنت وما تسخو به نفسك . إذا كان الغد فسق نذرك إلى حظيرة هُبل فسيمافى لك زوجك .

الكهل : أحقاً يا ابن لحى ؟

عمرو : نعم

الكهل : [يهتف فرحا] اعلُ هُبل ! اعلُ هُبل ! [يخرج]

عمرو : [ينظر إلى المرأة نظرة غزلة] وأنت أيتها الحسّانة الرعبوب أية لبانة نفس ساقتك إلىّ ؟

المرأة : أنا عاقر يا عمرو فماذا أنذر لهُبل كيما يهبنى الولد ؟

عمرو : أهدى له أنفس ما عندك !

المرأة : هذا السوار الذهب يا عمرو ؟

عمرو : هلاّ خيراً منه ؟

المرأة : وحياتك ما أملك خيرا منه ؟

عمرو : بل تملكين ما يسبى الاب ويرضى القلب ! [يحاول ضمها وتقبيلها]

المرأة : [تدفعه عنها] ويلك يا ابن لحى إنما جئت أبتغى رضوان هُبل لا رضوانك

عمرو : ويلك يا خرقاء هل تنالين رضوانه إلا برضوانى ؟ !

المرأة : ويقضى لى حاجتى يا عمرو ؟ يهبنى الولد ؟

عمرو : نعم . نعم .

المرأة : فماذا علىّ أن أصنع ؟

عمرو : إذا كانت الليلة القابلة فاطرقى دار الضيافة عند العتمة فستجدين ما تحبين

المرأة : لن أحمد غير هُبل : اعلُ هُبل ! اعلُ هُبل !

(٣)

(فى بيت جابر بن سهل الخزاعى)

جابر : انظر يا مسعود . . إنه أقبل !

مسعود : وماذا يصنع هذا الخلق معه ؟

جابر : يلثمون مواطىء قدميه ومساحب حلته ! انظر إليه كيف يختال فى حلته السيراء يفتن بها قلوب النساء !

مسعود : ياالضيعة دين إسماعيل وأبناء إسماعيل !

جابر : هل لك أن تستقبله أنت وحدك ؟

مسعود : وأنت ؟

جابر : سأحتجب عنه فإنى لا أطيق رؤية وجهه ولا سماع حديثه .

مسعود : كما تشاء .

[ينسحب جابر إلى داخل الدار]

[يدخل عمرو بن لحى]

عمرو : مرحباً بالصديق القديم والأخ الحميم ! مرحبا بك يامسعود . . ألا تعانقنى ؟

مسعود : لا ينبغى أن أعانق من بدّل دين إسماعيل .

عمرو : ويحك يا ابن وائلة أدعوتنى لتسمعنى هذا ؟ ألا ترانى لبيّت دعوتك وأنت فى دار عدوّى إكراما لك وعرفاناً لقديم حقك ؟ ثم تستقبلنى بهذا الجفاء ؟

مسعود : إنما أنصحك يا عمرو لمكان الصداقة التى بيننا ، فوالله لعزيز علىّ أن أراك تضل هذا الضلال البعيد وقد كنت ذا رشد . أتتهمنى ياعمرو فى نصحى ؟

عمرو : كلا يا أخى إنك لنعم الناصح ولو قبلت نصحا من أحد فى هذا الأمر لقبلته منك ، ولكن لا سبيل إلى ما تريد .

مسعود : ألست تؤمن بالله يا عمرو وباليوم الآخر ؟

عمرو : بلى .

مسعود : فما هذا الصنم الذى تعبده من دون الله ؟

عمرو : كلا لست أعبده يا مسعود .

مسعود : فقد دعوت الناس إلى عبادته ففتنتهم عن دينهم .

عمرو : لو كانوا يؤمنون حقاً بدين إسماعيل ما استطاع أن يفتنهم عنه أحد . ولكن ذلك الدين قد بطل معناه فى نفوسهم وما بقى إلا رسمه ، فلو لم أجئهم أنا بهذا الشرع الجديد لجاءهم به غيرى فلآمنوا به كما آمنوا لى ، وإذن لكنت حريّا أن أدخل فيما دخلوا فيه تابعاً من الأتباع ليس لى شأن يذكر ولا مجد ينشر .

مسعود : أتعدّ ذلك مجداً يا عمرو ؟

عمرو : وأىّ مجد يا مسعود ! ما فى أرض العرب اليوم من يكثرنى مالا أو يفوقنى جاها أو يطاولنى مجدا ورفعة !

مسعود : والآخرة يا عمرو ؟

عمرو : لن أكون يومئذ شرًّا مكاناً من هؤلاء الخلائق الذين دخلوا فى دينى وعبدوا هبل وأنداده من حيث لا أعبدهم .

مسعود : فأنت الذى أوقعتهم فى هذا الشر وزعمت أنك بمنجاة منه أما إنهم بعد لقومك يا عمرو أفلا يعطف قلبك عليهم حقوق جوار أو وشائج قربى ورحم ؟

عمرو : بلى يا مسعود . إنى وحقك ما ابتغيت لهم سوى الخير . لقد عسر عليهم أن يعبدوا إلها لا تدركه أبصارهم فأتحت لهم هذا الرب المنظور فاطمأنت به نفوسهم واستراحت من وحر الشك قلوبهم فهم يعبدونه مخلصين ويجدون حوائجهم تقضى به والضر يكشف عنهم والخير يبارك لهم فيه .

مسعود : ذلك الشيطان يا عمرو قد اتخذك له مطية .

عمرو : أفليس ذلك خيرا من أن يتخذ الشيطان مطية له غيرى وأكون أنا مطية لمطية الشيطان ؟

مسعود : أعوذ بالله منك ! اغرب عن عينى أيهـــا الفاسق اللعين ، أيها الشيطان الرجيم .

عمرو : [مغضباً] تلعنني يا أخا جرهم ؟ ويلك !

مسعود : أجل . . . عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ! والله لأكشفن للناس كذبك وخداعك حتى يكفروا بك ويرجموك !

عمرو : أنصحك يا هذا ألا تفعل ، فوالله الذى لا إله إلا هو ليثبُنَّ عليك فليقطِّعنّك إرباً إرباً .

مسعود : فإنى والله لا أبالى . لأُهيبنّ بهم ليرجعوا إلى دين إسماعيل !

عمرو : قد ذهب دين إسماعيل يا أخا جرهم وحل محلّه دين عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف !

مسعود : كلا والله لايذهب دين إسماعيل أبداً إنه باق فى قومى . . فى جرهم !

عمرو : غداً أبعث رسلى إلى قومك فليدخلُن فيما دخل فيه الناس ، وليقدمنّ على ليلثموا أطراف هذه الحلة الدمقس ! [يختال فى حلته خارجا] انظر إليها من خلفى هل رأت عينك أيها الجرهمى أفخر أو أجمل منها قط ؟

مسعود : لتجرجرنّ ذيلك غداً فى نار جهنم !

عمرو : [ضاحكا] إذن يحسدنى أهل النار عليها ! !

مسعود : لن تكون يومئذ حلة من الدمقس !

عمرو : فماذا تكون ؟

مسعود : لتكونَنّ قُصْبك يا كافر وأمعاءك ! ولتؤذينّ أهل النار بريحها النتنة !

عمرو : [يقهقه ضاحكا] إذن أكون أنا سوط عذاب عليهم ! عانقنى غداً يا صديقى القديم إذا لقيتنى هناك ! [يخرج] .

مسعود : [يزفر فى حرقة] وى ! وى ! وى !

جابر : [يدخل] ماخطبك يا مسعود ؟

مسعود : ويل بنى إسماعيل من شر مستطير ! والله لا أقيم بهذه البلدة ساعة من نهار !

جابر : بل تبقى اليوم عندى .

مسعود : كلا كلا إنى أخاف أن يصيبنى عذاب من الرحمن فى هذه الدار الرجس !

جابر : ويحك يا أخى أوَ ما تؤمن برب هذه الكعبة ؟

مسعود : بلى يا جابر .

جابر : فليبعثنّ الله يوماً من يطّهر حرمه هذا من هذا الرجس وليحيينّ به دين إسماعل وملة إبراهيم ؟

« ستار »

هكذا يقول البلغاء

* أب ب — اطلُب الأمر فى إبّانه ، وخُذه برُبّانه : أى أوّله ، وأنشد ابنُ الأعرابى :

قد هَرّمتنى قبل إبّانِ الهرَمْ   وهى إذا قلتُ كُلى قالت نعمْ
صحيحة الْمِعْدَةِ من كلّ سَقمْ   لو أكلَتْ فِيلَيْن لم تخشَ البَشَم

(البشم : التخمة)

وأبّ للمسير إذا تهيأ له وتجهز .

وتقول : فلان ، رَاعَ له الحَبُّ ، وطاع له الأَبّ : أى زكا زرعه واتسع مرعاه .

« الزمخشرى »

اقتصاد أعرج

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة فى باكستان

هل هناك أزمة اقتصادية فى الوقت الحاضر ؟

هل نحن على أبواب أزمة اقتصادية جديدة شبيهة بما عاناه العالم فى السنين الأولى من العقد الرابع فى هذا القرن ؟

فإن لم تكن هناك أزمة واقعة أو متوقعة ففيم إذن هذا الكساد وهذا التوتر التجارى فى العالم كله ؟ وهل من سبيل إلى توقيه ؟

هذه أسئلة يطالعنا بها الكتّاب والمفكرون من يوم إلى آخر ويختلفون فى الإجابة عنها باختلاف وجهة نظر الباحث أو المفكر . ولست أريد فى هذا المقال أن أثبت بالدليل القاطع وجود أزمة اقتصادية بالمعنى العلمى ، لا ولست أريد أن أنكر وجودها إنكاراً لا يكتنفه شك ، إنما أريد أن يحيط القارئ بحقيقة أساسية فى النظام الاقتصادى المعاصر ، حقيقة اتُفق على أنها سبب لكل أزمة ، ومدعاة لانتظار أزمات مستقبلة إن لم نكن نجتاز هذه الأزمة فى الوقت الراهن .

ولعل القارئ يحب أن يلم بشىء عن أعراض هذه الأزمات ، وأن يتحقق من مدلول هذا اللفظ عند الاقتصاديين المعاصرين وقد أغرموا بنحت الاصطلاحات وإعطائها مدلولات تختلف باختلاف الاقتصاديين ومدارسهم ، على أنه مهما كانت المدرسة الاقتصادية التى ينتمى إليها الباحث ، فإن كلمة الأزمة تعنى ظاهرة « ضيق » فى الحياة الاقتصادية ، ونفسية حذرة متشائمة تطغى على الناس جميعاً ، فالنشاط الاقتصادى والإنتاج المادى والمنوى متناقص متخاذل ، وأسعار السلع والخدمات منخفضة ، والطلب عليها بداهة معرض متكاسل ، والمخزون من الطيبات (Goods) متزايد أو على الأقل لا يكاد يتناقص ، والفائدة (الربوية) منخفضة وهى مع انخفاضها

لا تحث المنتجين على الاقتراض للإنتاج ، وقوى النقد الشرائية كبيرة بالنسبة إلى الطيبات ، ومع رخص الأسعار فالمشترون يفضلون النقد على غيره من السلع ظنا منهم أن ذلك أحفظ للقيمة الآجلة واعتقاداً بأن الأسعار إلى نزول مستقبل .

هذه هى الأعراض الرئيسية للأزمات (التقليدية) وقد تكون هناك أزمات (عارضة) أو نسبية تتخلل فترات النشاط الاقتصادى وهذه تتميز ببعض ما ذكرنا من قرائن ، وتختلف أشكالها باختلاف الظروف المحيطة بها . وقد تمتد هذه الأزمة العارضة حتى تتضاعف وتشتد ثم تنتشر من بلد إلى آخر بحكم نظرية الترابط الاقتصادى Economic Interdependence فتشمل العالم كله وتظهر الأعراض السالفة عرضاً بعد عرض ، وتسرى حماها فى سائر الجسد الاقتصادى . والواقع أن الأزمة عادة لا تظهر أعراضها كلها فجاءة ولا دفعة واحدة ، إنما تبدأ من أحد هذه الأعراض فإن لم يُتدارك الأمر من مبدئه ظهر عرض آخر فإن استطال المرض أزمن وسرى فى دماء الجسد .

نعود بعد هذا إلى الوضع الاقتصادى الراهن ، وما يعتوره من أعراض أقرب ما تكون إلى أعراض الأزمات الاقتصادية الدولية التى يخشاها الناس جميعاً والتى ينعاها الاشتراكيون على النظام الاقتصادى ، بل التى يعتبرها الرأسماليون أعظم خطر يتهدد حياتهم ويهدم مثلهم الاقتصادى الأعلى (الرأسمالية) .

بعد أن استرد العالم شيئاً من الدعة بعد الحرب العالمية الأخيرة أحس بالحاجة الملحة إلى رأس المال ليبنى ما تهدم أثناء الحرب ، وليعيد الاقتصاد إلى مجراه السلمى بعد أن قلب رأساً على عقب إبان الحرب العالمية الأخيرة ، فغدا اقتصادا حربياً شاذا لا يهدف إلى ما يهدف إليه الاقتصاد السليم . حينئذ لم تكن هناك مندوحة من أن تمد الولايات المتحدة يدها بالمال سخية على دول الغرب تعينهم على النهوض فتمولهم برأس المال اللازم لإنتاج السلع الإنتاجية الأخرى ، ومن ثم تعينهم على إنتاج السلع الاستهلاكية تشبع بها رغبات الأفراد ، وتواجه ما تتطلبه المنافع العامة من منشآت وخدمات . وأنفقت أمريكا بلايين الجنيهات على الدول الغربية ، تقرضها بشروط سخية أو تهبها هذا المال دون مقابل إطلاقاً حتى استطاعت

هذه الدول فى أواخر عام ١٩٤٨ أن يكون لها فائض فى الإنتاج ، وحتى انخفضت أسعار السلع انخفاضاً أدى بكثير من الاقتصاديين إلى أن يتنبأوا بحدوث أزمة اقتصادية شاملة . على أن نشوب الحرب العالمية فى كوريا أدى إلى تغير فى الوضع فنشطت الأسواق وأقبلت الدول الصناعية على شراء المواد الأولية من الدول المنتجة — وأكثرها دول زراعية متأخرة — وأنفقت أمريكا فى هذا السبيل إنفاقاً لا يكاد يتصوره العقل سواء أكان الإنفاق لشراء مباشر لها أو لشراء تطلبته عن طريق دول غربية أخرى ، فكان من نتيجة ذلك أن عادت أسعار السلع إلى الارتفاع وامتُصّ ما كان قد فاض من إنتاج سابق ، ونشطت المصانع من جديد ، وصار النقد متوافرا بين يدى المستهلكين وتضاعف الطلب على السلع الاستهلاكية عامة فى الدول المتقدمة الغربية وخاصة فى الدول المتأخرة الشرقية ، كما أخذت هذه الدول الأخيرة فى تخطيط أنهاج اقتصادية ترمى بها إلى تصنيع بلادها لتستغنى بذاتها عن غيرها غاية ما يمكن به الغناء .

على أن هذه القدرة الاقتصادية ، وهذا النشاط الطارئ لم يلبثا أن وقفا عند حدها بإعلان الهدنة بعد سنة ونصف من إعلان الحرب . وقد تبين للناس إذ ذاك أن تقدير امتداد الحرب إلى أجل طويل ، وما صاحب هذا التقدير من تخزين للمواد الأولية وإنتاج للمستلزمات الحربية لم يكن إلاّ تقديراً متغالى فيه إذ ما لبثت الولايات المتحدة أن عدلت عن برنامج شراء المواد الأولية وأوقفت هذا الشراء فهبطت الأسعار هبوطاً كبيراً مفاجئاً . كما أن تغيير سياستها إلى النقيض أدى إلى الضرر بالكثير من البلاد المنتجة للمواد الأولية ، ويكفى أن نذكر هنا أن أمريكا أخذت تبيع بعض ما خزنته بأسعار أقل مما اشترت به ، وسيطرت بهذا على الأسواق العالمية سيطرة تحكمية — دع عنك ما أحدثه هذا التصرف من فوضى فى التقديرات الإنتاجية لدى الدول المنتجة جميعاً .

هذا تاريخ يعرفه كل من له إلمام عام بمجريات الاقتصاد ، والذى أريد أن أوضحه هو النتائج المترتبة على هذا التاريخ باعتباره جزءاً لا يتجزء من فلسفة الاقتصاد المعاصر .

لقد كان من آثار هذا التطور أن أخذت الدول الغربية فى زيادة إنتاجها للسلع

الاستهلاكية والرأسمالية على السواء ، أعانها على ذلك أمران : الأول ما كسبته من ربح أثناء الحرب الكورية . الثانى ما تحقق لديها من شدة طلب الدول المستهلكة على ما قد تنتجه فى المستقبل القريب من سلع وخدمات . فلما أن هبطت أسعار السلع بعيد الهدنة أحست الدول المنتجة للمواد الأولية أن مواردها ستتغير حتماً تغيراً كبيراً ملحوظاً حتى إنها غيرت من خططها الاقتصادية ، وعدلت من برامجها الإنتاجية مما خيب آمال الدول الأوربية المنتجة فى مقدرتها على بيع منتجاتها . كان من نتيجة ذلك أن اشتد التنافس بين هذه الدول لتبيع للدول الفقيرة ، وانخفضت الأسعار مرة ثانية ، وتبلبلت أفكار المكافلين Entrepreneurs هل يزيدون من الإنتاج أم يحدونه ؟ وهل يضاربون على نشاط أم كساد ، وهل يعتمدون فى تثميرهم الأموال وتسخيرهم الجهود على نشاط مقبل فى الدول المتأخرة أم على كساد قائم فى الدول الصناعية المتقدمة؟

الموضوع إذن توازن مختل بين اقتصاديات الدول المتقدمة : هى الدول الصناعية الغربية الأوربية ، واقتصاديات دول منتجة لمواد أولية زراعية كانت أم معدنية : هى الدول الشرقية المتأخرة . لقد انبنت السياسات الاقتصادية فى القرن التاسع عشر كله ، بل حتى قيام الحرب العالمية الثانية على الأوضاع السياسية الإمبراطورية حيث تعيش الدول الأوربية ناعمة البال تمتص ما شاءت من دم الدول المتأخرة الشرقية المستعمرة فتشترى منها ما تنتجه من مواد أولية وتبيعها هذه المواد مصنوعة بأسعار باهظة تسلب المنتج الشرقى أعز ما لديه بثمن بخس . على أن التطور السياسى الحديث أدى إلى تحرر كثير من هذه الدول وانطلاقها فى ميدان الحياة تريد أن تعيش لنفسها بنفسها ، وهذا يقتضيها الكثير من رأس المال تستثمره فى إنتاج ما تحتاجه من صناعات ورأس المال لديها قليل ، والمستعمر القديم لا يريد أن يتخلى عن استعماره الاقتصادى وإن تخلى عن استعماره السياسى . وظلت المشكلة كما هى معلقة : منتج يريد أن يبيع ومشتر يريد أن يشترى . والمنتج لديه ما يفيض ولكن المشترى لا يملك ثمن ما يريد أن يشتريه . والمعروف أن كل صادر إنما تدفع قيمته بوارد ، والمشترى فى هذه الحالة ومنتج المادة الأولية فى الشرق المتأخر، وأن البائع هو منتج السلع المصنوعة فى الغرب المتقدم . والغرب لا يريد إلا أن يشترى من الشرق سلعه بأبخس الأثمان ولا يريد

إلا أن يبيعه ما ينتجه بأغلى الأثمان . نتج عن هذا وجود ثغرة بين المشترى والبائع وليس هناك من سبيل إلى سد هذه الثغرة إلا بما يسمى بالاستثمار الخارجى ، حيث ترسل الأموال من البلاد الدائنة لتستثمره فى البلاد المدينة لآجال طويلة ، وبشروط هينة سهلة .

على أن الوضع السياسى العالمى قد ترك للاقتصاديين الأوربيين فرصة سانحة يتمللون بها حين يأبون أن يستثمروا أموالهم فى البلاد الشرقية إذ يخشون وقوع حروب جديدة فيفقدون أموالهم دون مقابل . وأغلب الظن أن هذا ليس سبباً على الإطلاق ، فلو وقعت الحرب لهلكت الأموال سواء أمسكوها بأيديهم أم استثمروها لدى الغير . بل لعلّ الأعقل والأقرب منطقاً أن تستثمر لدى الغير . فتكون ديناً فى عنقه إن هلكت هلكت بيد المدين ، وجب عليه الوفاء . والحق أنهم لا يخشون هلاك المال بقدر ما يخشون أن تنهض الصناعات فى الدول الشرقية نهضة تطيح بصناعتهم وتوجد لهم منافسة قاسية تحرمهم من عيش دعة تمرغوا فيه طوال سنين عديدة . من أجل هذا وقعوا فى محذور آخر هو كيفية تسويق وتصريف منتجاتهم لدى هذه الدول . إذ ما لم تكن لدى الدول المتأخرة قوى شرائية كافية لما استطاعوا أن يجلبوا إليهم منتجات غيرهم ، ولن تكون لهم هذه القوى ما لم تشتر الدول الصناعية موادهم الأولية بأسعار مجزية ، وما لم تسمح باستثمار أموالها الفائضة فى منشآتهم المستحدثة وإنتاجهم الجديد . وهكذا يقع الاقتصاديون فى نطاق دائرة من التعليل مفرغة ، وتتهددهم أعراض الأزمات الاقتصادية بين الحين والحين ، وهم فى هذه الغمرة يحاولون أبداً أن يُرجعوا أسباب هذه الأزمة إلى غير أسبابها الحقيقية .

صحيح إن الأزمات تتولد من الناحية الفنية على حد رأى الأستاذ هارود Harrod عن خطأ الأوضاع الاقتصادية النقدية أو كما يزعم هذا الأستاذ عن وجود سعر للفائدة لكل مال مستقبض ، كما ترجع أيضاً إلى أسباب أخرى قد تكون أقل شأناً مما يراه الأستاذ هارود ومدرسته ، وقد تكون أبعد غوراً فيما يراه غيره ، إلا أن الذى لا مراء فيه أن التوازن الاقتصادى العالمى لن يسير على قدمين مستويتين ما لم تتوازن اقتصاديات الدول المتأخرة مع اقتصاديات الدول المتقدمة فتتوافر قوى الشراء بين أيديها ويعين هذا على زيادة الإنتاج فى الدول المتقدمة ، وتدور الدائرة نحو رخاء اقتصادى جديد .

لقد بحث هذا الموضوع بعض الفلاسفة المحدثين وما زالوا يبحثون فيه ، ولعل أبرز من كتب فى هذا هو السير بويد أور Sir Boyd Ore وقد أخذ عنه الكثير من المفكرين . بل إن الاتجاه العالمى فى حل هذا الإشكال أدى إلى تأسيس اتحادات عالمية لإنتاج وتسويق بعض المواد الأولية الضرورية ، إلا أنه مما يؤسف له أن غالبية هذه الاتحادات قد فشلت فى غايتها ومهمتها فشلاً ذريعاً ، إن دل على شىء فإنما يدل على جمود عقلية المستعمر ورسوخ عقيدة شيطانية غلّبت حب الذات والاستعلاء على الغير على المصلحة العامة والمساواة البشريه ، بل فضلت المصلحة العاجلة على الآجلة ، وتركت كلا الصنفين المتقدم والمتأخر فى جهالة من الأمر وخوف دائم من الأزمات الاقتصادية .

وعندنا أن تردد أمريكا فى أن تمد يدها بسخاء إلى الشرق المهيض كما مدتها من قبل إلى الغرب البغيض ، وأن إمعان الدول الأوروبية فيما هى بصدده من سياسيات إمبراطورية استعمارية ، وأن ترك الدول المتأخرة فى تأخرها وتركز رأس المال فى دول صناعية قليلة ، والشره الغالب على الأوروبيين فى الحصول على المواد الأولية من الشرقيين بأسعار تترك للغربى فائضاً من النعم يتمرغ فيه كما تترك الشرقى فى حمأة من البؤس يستتى منها ؛ كل ذلك لن يزيد المشكلة إلا تعقداً ، والعالم إلا بؤساً . ولن يخرجه مما هو فيه إلا مثل أعلى جديد يستضىء به فى حل مشكلاته ويجلو عن صدره ما تكاثف من ضلالات وأوهام .

تستطيع أن تحكم على الرجل جيداً حين تعرف هل يطلب حملاً خفيفاً ، أو ظهراً قوياً لو منح فرصة للاختيار .

داعية ..

للأستاذ السيد عمر بهاء الدين الأميرى

شاهدته يتكلم بين أفراد . . . فلم أجد صوته . . يتطاول على الأصوات .

ولاح لى أميل إلى الإصغاء . . . منه إلى إبداء الآراء .

فإذا دخل الحديث طور المراء . . . صمت فى إعراض . . .

أو أقبل فى ابتسام . . . هو بين الإشفاق والشفقة .

حتى إذا انتهى الأمر . . . إلى زبدته . . . كانت كلمته هى الفاصلة !

* * *

وأصغيت إليه . . . وهو يخاطب مَلأَه . . . .

فخُيِل إلىّ . . . أنه يحاول أن يُسْكِتَ لسانه . . . وَيُنْطِقَ قَلْبَه . . بل وكل جوارحه .

وإذ ذاك . . . كان يمعن النظر . . . فى مَن أمامه . . . وكأنه يُحَدِّق . . فى أفق بعيد ؛ فينبعث من عيونه . . . شبه نور وهاج ،

يتصل شعاعاً شعاعاً . . . بقلب فقلب .

وإذا بالملأ . . . تحت تأثيره المطلق . . . قد أسلموا إليه . .

عقولهم . . . يهديها . . . وقلوبهم . . . يخفق فيها . . .

وسواعدهم وكواهلهم ... يحمِّلها مايرى من أعباء ... أعباء رسالته ورسالتهم .

* * *

وسمعته يخاطب الجماهير . . . فوجدته الطَّبَّ الخبير

يبدأ ، ويبدو معهم . . . — فى أكثر الأحيان — . . . واحداً منهم

مُحَدِّثاً . . . أكثر منه خطيباً .

يُكثرمن سوق التشابيه والأمثال ... يَبْسط بها فكرته ... فتتلقفها الأذهان بيسر

وقد يعالج فى ثنايا بيانه . . . شؤوناً من صميم حياة المستمعين

حتى ليظن أحدهم . . . أنه كوشف بخُوَيصة مشكلته . . . وأخذ يصف له الدواء

فإذا آنس . . . أن القوم قد ركنوا إليه

اشتد عليهم فى موعظته ... وبادرهم بإهابات خطابية ... وجلجل بصيحات الحق...

تتخلل حديثه الدفاق . . . المرصع بآى الله .

فيستأثر بإعجابهم . . . وتعظم هيبته ، ومحبته ، وقوته ؛

فيضعون أنفسهم منه . . . دون اختيار . . . موضع الرعية من الراعى .

وهكذا . . . يبلغ منهم لدعوته مايريد

وينتهى غير مملول . . . محبوباً . . . مرهوباً .

* * *

كيفَ يَسْرِى النغَمُ السَّائغُ ، فى الآذان نَشْوَهْ

هَكَذا منْ قلبِهِ المؤْمِن يُزْجِى الهَدْىَ ...دَعْوَهْ

زَاخِرُ الأعمَاقِ بالإيمان فى دَعْوَتِهِ

مُنْكِرُ الذات حَكيمُ السَّيْرِ فى وِجْهَتِهِ

طَبُّ أرْوَاح ، فلا تخْفى عَليه خافيهْ

بَاسِطُ الصدْرِ ، بَعيدُ الغَوْر ، شهمٌ دَاعيهْ

* * *

ما كان يغادر دقيقةً من وقته . . . إلا ويجندُها لله ؛

فإذا مشى فى الشارع . . . ذكر فى نجواه ،

وإذا كان فى حافلة أو سيارة عامة . . . آنس مَن معه . . . ووعظهم بلطف ،

وإذا خلا إلى قلمه . . . أقبل عليه بكليته . . . وأملى عليه كالبرق الخاطف . . .

مخزونات . . . عقله . . . وقلبه . . . وحكمته .

وإذا جلس إلى زائر أو صديق... أصغى إليه بجوارحه ... واستدرجه برفق ...
ليستخلص من كلامه ... مايستجره به إلى نصرة فكرته . . .
ووثّق بذلك . . . دون أن يشعر .
أما إذا فَرَغ إلى عمله الأصيل . . . فى تكوين جيل . . .
فكل جارحة من جوارحه . . . تعمل فى نطاقها . . . بفناء بالغ فى الله . . .
فإذا أضناه السهر . . . رغم المنبهات ،
وأعياه العمل والدأب . . . رغم المسكنات ؛
انصرف بُعَيد صلاةِ الفجر . . . لينام ساعات ،
لا ليستريح . . . بل ليتقوى على استئناف جهاده . . . فى سبيل الله .

الإسلام والاستعمار !

« يتقدم الإسلام بخطى سريعة فى غرب أفريقيا حتى أن بعثات التبشير والأوربيين على السواء ليبدون قلقاً شديدا مما قد يترتب على انتشار الإسلام فى المنطقة كلها . وكان الاعتقاد قديما أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء وقد يتجه نحو الحضر وما كان أحد ليصدق أنه يستطيع اختراق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث فى « سيراليون » و « الساحل العاجى » و « ساحل الذهب » و « داهومى » .

ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام فى هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربى . ويختلف المفكرون الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام فى أفريقيا . فن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية مادام يسير فى الخطوط التى رسمها له المستعمر ؛ بينما يرى آخرون ضرورة الحد من تقدم الإسلام عن طريق نشر البدع والخرافات حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد » .

من مقال لجريدة « التيمز اللندنية »

الحجاب

للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى

من مسائل التمدن البشرى المعقدة وأعظمها خطورة وإعضالا ، مسألتان يتوقف على حلولها المستقيمة المتزنة رقى الإنسانية وسعادتها . وقد حار العلماء فى إيجاد حل لهما منذ قديم الزمان وما زالوا حائرين فى شأنهما اليوم . أما المسألتان ، فأولاهما صلة ما بين الرجل والمرأة وكيفية توطيدها فى الحياة الاجتماعية ؟ فإن هذه العلاقة أساس التمدن وملاك أمره . وإن اعوجّ هذا الأساس أو مال عن الاستقامة قليلا ، فلا خير فى بناء التمدن الذى ينهض على هذا الأساس المعوج . والمسألة الثانية تتعلق بما بين الفرد والجماعة من العلاقة ، فإنه إذا حدث شيء يخل بالاتزان والتناسق المنشود فيما بينهما من الأواصر والصلات ، عادت عواقبه الوخيمة تجر البلاء والوبال على البشرية قروناً متعاقبة .

ففى جانبٍ هاتان مسألتان وخطورتهما ، وفى جانب آخر أنهما قد بلغتا من التعقد والإعضال مبلغاً عظيما حتى لا يقدر على حلهما إلا من أوتى نظرة ثاقبة فى حقائق الفطرة البشرية بأسرها ، محيطة بجميع جوانبها . ولقد صدق من قال إن الإنسان عالم أصغر فى حد ذاته . فهذه بنيته وهيئة نفسه وقواه ومواهبه ورغباته وحاجاته وكذلك عواطفه ومشاعره وعلاقته بما وراء شخصه من ألوف الأدوات والأشياء وتأثيره فيها وتأثره بها — هذه كلها تحتضن عالما بنفسه ، لا تنتهى عجائبه ولا يدرك كنهه بسهولة . فلا يمكن لأحد أن يدرك حقيقة الإنسان ويعرف سرّه إلا إذا تبيّن كل جانب من هذا العالم الأصغر ؛ ومن الظاهر البين أنه لا يمكن إيجاد حل أو حلول لمسائل الحياة البشرية الأساسية إلا بعد ما يدرَك كنه الإنسان وتعرف حقيقته معرفة تامة .

وهذا هو الإعضال الذى ما زالت ولا تزال تكلّ عنه جهود العقل والحكمة كلها وتظهر عجزها عن استجلاء وجه الحقيقة منه . وذلك أن الإنسان لم يدرك بعد

حقائق العالم كلها ، ولم يبلغ علم من العلوم البشرية غايته ومنتهاه من الكمال والنضج حتى يصح القول بأنه أحاط بجميع الحقائق التى تتعلق بفروع هذا العلم أو ذلك . وزد على ذلك أن الحقائق التى ظهرت وبرزت للعين ، قد تبلغ دقائقها وآفاقها المتسمة مبلغاً عظيما لايمكن أن يحيط بها بشر ، بل طائفة من البشر فى آن واحد . فإنه كلما لاح منها جانب ، اختفى جانب آخر ، فتارة لاتكاد العين المبصرة تنفذ إلى أعماقها ، وطوراً تصبح الميول الشخصية حجاباً دون إدراك الحقيقة . لهذين الضَّعفين تخفق جميع التدابير والحيل التى يختارها الإنسان نفسه لحل هاتيك المسائل فى حياته ، وتظهر التجارب نقصها فى آخر الأمر . والحل الصحيح لا يمكن إيجاده إلا بعد ما يدرك المرء نقطة الاعتدال التى تستقيم بها الأمور . والمعلوم أنه لا يمكن إدراك نقطة الاعتدال هذه إلا بعد ما تكون جميع نواحى الحقائق المعلومة ـ على الأقل ـ معروضة أمام الأنظار ، مرتبة على نسق واحد ، إن لم نقل الحقائق كلها . ولكن ، قل لى بالله ، من أين لك نقطة الاعتدال هذه إذا كانت سعة الآفاق والمناظر فى درجة لا تقدر أن تحيط بها الأبصار البشرية ، ورغبات النفس ونوازعها وعواطفها وميولها ، لها تأثير عظيم فى تفكير الإنسان ، يكاد يصرف بصره عن حقائق ماثلة للعيان .

وبين يدينا الآن المسألة الأولى من المسألتين اللتين تقدم ذكرهما ؛ فهى مناط بحثنا فى هذا المقام . فإذا راجعنا بطون التاريخ الغابر واستنطقنا صفحاته بهذا الشأن ، وجدنا الأمر فى غاية من العجب ؛ رأينا سلسلة من الإفراط والتفريط جارية فى جميع أدوار التاريخ وبين الأمم كلها . ففى جانب نرى أن المرأة التى تلد الرجل وترضعه وتربيه ، وهى أم ؛ وتكون شريكته فى الحياة ، تشاطره البؤس والرخاء وهى زوج قد اتخذوها خادماً بل أمة ، تباع وتشترى ، محرومة من جميع حقوق الإرث والملك ؛ وزعموا أنها مجموعة من الذل والإثم . فلا يدعون لها فرصة لتنمية شخصيتها ولا مواهبها . وفى جانب آخر نرى أن تلك المرأة نفسها قد عظموها وأكبروا من شأنها ، بحيث تسايرها موجة عنيفة من فوضى الأخلاق وانحطاط الآداب ؛ نرى أنهم اتخذوها مطية لأهوائهم وجعلوها كأنها حبالة الشيطان فى واقع الأمر .

وهذان الطرفان المتناقضان ، لا نسميهما بطرفى الإفراط والتفريط فى لغة النظريات

فحسب ، بل الأمر أن التجارب إذا جمعت نتائجها الوخيمة وعُرضت مجتمعة على أنظارنا نسميها جانبي الإفراط والتفريط فى لغة الأخلاق أيضاً . وتجارب التاريخ التى أشرنا إليها آنفا ، تدلنا كذلك على أن أمة من الأمم حينما تخرج من ظلمات الجهل والهمجية وتتقدم إلى ميدان المدنية والحضارة ، ترافق رجالها نساؤهم ، كالخدم والإماء ؛ ولا يعوقها ذلك عن الرقى والتقدم فى حلبة التمدن فى أول الأمر من قوى البداوة الفطرية الفعالة . ولكنها تشعر بعدما تقطع مرحلة من مراحل الرقى المدنى ، أنها لا يمكنها التقدم إلى الأمام ، وشطرٌ كاملٌ من كيانها فى مثل هذا الانحطاط والتقهقر ؛ تشعر بعقبة فى سبيل رقيها المدنى وتحس بمسيس الحاجة إلى إعداد الشطر الثانى من بنيتها لمسايرتها فى ركب الحضارة والنهوض بأعباء التمدن . ولكنها إذا أرادت أن تتدارك مافاتها من العناية بتهذيب المرأة وتثقيفها ، ماوقفت عند حد ، بل ذهبت تتقدم إلى ماشاء الله أن تتقدم حتى تصير حرية المرأة إلى انهيار نظام الأسرة ، وينفجر بركان من الفحشاء والفجور لأجل اختلاط الرجال بالنساء ، وتكاد الخلاعة والاستهتار يأتيان بنيان الأمة الخلقى من القواعد . ولا جرم أن يتبع التدهور الخلقى الانحطاط والتقهقر فى القوى الجسدية والمواهب الفكرية والمادية ؛ والأمة التى وصلت إلى مثل هذا الانحطاط فى نواحى الحياة كلها ، مصيرها إلى الهلاك والانقراض لا محالة .

ومن دواعى الأسف أن المقام لا يتسع إلى ضرب الأمثلة الكافية من ماجريات التاريخ ، إلا أنه لابد من عرض عدة من الأمثلة لإيضاح المسألة وشرحها .

اليونان :

أهل اليونان هم أرقى الأمم القديمة حضارة وثقافة ، كما يظهر من التاريخ . ففى عصرهم البدائى كانت المرأة فى غاية من الانحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعى كلها ؛ فلم تكن لها منزلة فى مجتمعهم من أى وجهة . فقد اتخذت الأساطير (Mythalogy) اليونانية ، امرأةً خيالية باندورا (Pandora) ينبوع جميع آلام الإنسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية (حواء) العين التى تنشق منها جداول الآلام والشدائد ، وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء من تأثير عظيم فى سلوك

الأمم اليهودية والمسيحية قِبَل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوى فى حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب . وكذلك أو دونه بقليل كان تأثير الأسطورة اليونانية عن باندورا فى عقولهم وأذهانهم . فلم تكن المرأة عندهم إلا خَلقا من الدرك الأسفل ، وكانت فى غاية من التردى والانحطاط فى كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية . أما منازل العز والكرامة فى المجتمع ، فكانت كلها مختصة بالرجل .

وبقى هذا السلوك قِبَل المرأة فى أول عهدهم بالنهضة المدنية ثابتا على حاله ، ربما تخللته تعديلات قليلة . فإنه كان من تأثير ذيوع العلم وانتشار أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة فى المجتمع وأصبحت أحسن حالاً وأرفع منزلة من ذى قبل ، وإن بقيت منزلتها القانونية لم يطرأ عليها أدنى تغيير ولا تبديل . فهى أصبحت ربة البيت ، منحصرة واجباتها فى حدوده ؛ وكان لها فى داخله سلطة ونفوذ تام . وكذلك كانوا يقيمون لصون المرأة وعفافها وزناً وينظرون إليه نظر الإجلال والتكريم . وأيضاً كان الحجاب شائعاً فى البيوتات العالية ؛ فتراهم يبنون بيوتهم على قسمين ، ويفرقون بين قسمى الرجال والنساء . وما كان نسوتهم يشاركن فى المجالس والأندية المختلطة ولا يبرزن فى الأماكن العامة ، وكان يعد زواج المرأة ومرافقتها لزوجها دون غيره ، من إمارات النجابة والشرف ، وكان لمثلهن الحرمة والمنزلة فى المجتمع . وبالعكس من ذلك ، كانوا ينظرون إلى حياة العاهرات المومسات نظرة كره وازدراء — هذا فى عصر كانت الأمة اليونانية فى إبان مجدها وعنفوان شبابها وقوتها ، وكانت تنمو صعداً إلى الرقى والكمال . فقد كانت توجد عندهم مفاسد خلقية فى ذلك العصر ، إلا أنها كانت منحصرة فى نطاق محدود . فلم يكن الرجال يُطَالبون بِمثل من العفاف وطهارة الأخلاق وذكاء السجية ، وإنما كانت تُطَالَب بها المرأة وتؤاخذ عليها . فقد استثنى الرجال من التخلق بتلك الأخلاق الحسنة ، ولم يكن من المتوقع منهم أن يعيشوا عيشة ذوى العفاف والحشمة . ومن أجل ذلك كانت المومسات جزءاً من صميم المجتمع اليونانى ، لا ينفك عنه أبداً ، وما كان يُعاب المرء إذا عاشرها وخادنها .

ثم جعلت الشهوات النفسانية تتغلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار الغرائز

البهيمية والأهواء الجامحة . فتبوأت العاهرات والمومسات مكانةعالية فى المجتمع ، مما لم يسبق له نظير فى تاريخ البشرية كله ، وأصبحت بيوت النساء العاهرات مركزاً يؤمه سائرطبقات المجتمع ، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة . كأنهن أصبحن شمساً لسماء العلم والأدب ، يحيط بها كواكب الفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وغيرها من الفنون المتنوعة . وجملة القول أنهن أصبحن القطب الذى تدور حوله رحى الأمة اليونانية ؛ فما كن يرأسن أندية العلم ومجالس الأدب فحسب ، بل كانت المشاكل السياسية أيضاً تحل عقدها وتفك معضلاتها أمامهن وتحت إشرافهن . وقد بلغ بهم التعسف فى هذا الشأن أنهم كانوا يرجعون فى المسائل الرئيسية التى تعلو بها أمة وتسفل وتحيا بها وتموت إلى المرأة التى ربما لا ترضى أن تعاشر رجلاً بعينه ليلةً أو ليلتين .

ثم زاد أهل اليونان حبُّهم للجمال وتذوقُهم المفرط له تمادياً فى الغى وارتطاماً فى حمأة الرذائل ، وأضرم فى قلوبهم ناراً للشهوات لا تخمد . فالتماثيل — نماذج الفن العارية — التى كانوا يُظهرون بها وبالافتنان فى صنعها وإتقانها ، ذوقهم هذا ؛ كانت تدفعهم نحو بحر من الشهوات ونوازى النفس العارمة ، حتى أنه ما كان يخطر لهم ببال أن تعبّد الشهوات شىء ذميم فى قانون الأخلاق ، وأن الاندفاع وراء تيار الأهواء مما تشمئزّ منه الطباع السليمة . فقد تبدلت مقاييس الأخلاق عندهم إلى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الأخلاق عندهم لا يرون فى الزنا وارتكاب الفحشاء غضاضة حتى يُلام عليه المرء ويعاب ، وأصبحت عامتهم ينظرون إلى عقد الزواج ، نظرة من لا يهتم به ولا يرى بمسيس الحاجة إليه ، فلما يرون بأساً بأن يعاشر الرجل المرأة ويخادنها علناً من غير عقد ولا نكاح . فكانت النتيجة أن استسلمت لهذه الأخلاق والعوائد ديانتهم أيضاً وانتشرت عبادة (Aphradit) فى بلاد اليونان كلها ، التى كان من قصتها عندهم فى الأساطير (Mytholagy) أنها خادنت ثلاثة آلهة مع أنها كانت زوجة إله خاص ، وأيضاً كان من أخدانها رجل من عامة البشر علاوة على تلك الآلهة . ومن بطنها تولّد إله الحب (kupid) . وهى معاشرة لأربعة أخدان بصفة غير مشروعة . فما رأيك فى أخلاق أمة وانحطاطها

المعنوى والخلق ، اتخذت من مثل هـذه الطباع (charader) رمزاً للـكمال ، بل إلـهاً يُعبَد ويقدم لها جميع آداب العبودية والذل والخنوع . ولعمرى ، إن هـذا درجة من الانحطاط الخلقى ، إذا تردت فيها أمة ، لم تتمـكن من النهوض مرة أخرى . وكذلك ظهرت فى الهند (بام مارك) والمزدكية فى إيران فى مثل هذه العصر ، الذى بلغ فيه الانحطاط إلى أسفل دركاته . وأيضاً فى هذا العصر نفسه أصبحت الفحشاء والدعارة ينظر إليهما بعين التقديس والإجلال فى (بابل) ، فلم يمض على ذلك عشية أو ضحاها ، حتى آل أمرها إلى الانقراض وأصبح أمرها من باب خبر كان وأمس الدابر . ولـما انتشرت عبادة افروديت (Aphrodit) فى اليونان ، أصبحت مواخير الدعارة وأماكن الفجور مراكز للعبادة ، وأصبحت المومسات خوادم المعبد والمتنسكات (ديوداسيان) وعظم شأن الزنا حتى ألبسوا عليه كساء من العمل الدينى المبرور .

وبجانبٍ آخر ظهرت هذه الغريزة البهيمية بمظهر آخر . وذلك أن انتشرت سوءةُ أمة لوط فى الأمة اليونانية انتشارا يكاد يأتى على الأخضر واليابس ورحّبت بها الديانة والأخلاق أيضاً . ومما هو حري بالذكر أننا لا نرى لهذه السوءة المنـكرة أثراً فى عصر هومر وهسيود ، ولـكنه لـما ترقت المدنية وأخذت فى تزيين العُرى وشهوات النفس العارمة بالأسماء الجذابة كالفن وتذوق الجمال (Aesthetics) ، ازدادت الغريزة البهيمية وتفننت الطباع الرذيلة فى اقتراف الفحشاء وإطلاق عنان الأهواء الجامحة ، أن تنكبت الطريق الفطرى واضطرت إلى إرواء غليل شهواتها فى طريق تأباه الفطرة وتمجه الطباع السليمة . وساعدهم على ذلك حذّاق الفن بإبراز هذه العاطفة فى التماثيل ، وشهد علماء الأخلاق عندهم بأن هذه العلاقة آصرة للصداقة وثيقة بين الرجلين . واليونانيان اللذان أكرمتهما أمتهما لأول مرة وخلدت ذكراهما ببناء تماثيلهما من أبطال هذه السوءة المنـكرة ، هما : هرموديس وأرستوكين اللذان جمع بينهما ذلك « الحب » المنـكر الذى تأباه الفطرة الإنسانية .

وبعد فالتاريخ شاهد بأن أهل يونان لم يكن من نصيبهم المجد والرقى بعد ذلك مرة أخرى .

« يتبع »

إن لبدنك عليك حقا

بإشراف الأميرالاى الدكتور أحمد الناقه

س ١ : شاب ترتعش يداه كلما حمل شيئاً أو مارس الألعاب الرياضية وخاصة فى الحر . أبوه مصاب برعشة شديدة . هل هذا مرض وراثى وما علاجه ؟

ج ١ : إذا كانت الرعشة مصحوبة بأعراض أخرى كالنحافة وسرعة النبض فالمرض ضعف بعض الغدد ويمكن علاجه . وإذا كانت مصحوبة برعشة العينين وعسر الكلام فهو مرض عصبى يستعصى على العلاج . وإذا كانت الرعشة وحدها فهى تقليد لا إرادى لرعشة الأب لا يضر . وقد يزول من نفسه أو بالأدوية المهدئة . أما رعشة الأب فهى مرض عصبى قد يتحسن بالأدوية مثل : بلادونا ، وهيوسين ، ونحوهما كما يرى الطبيب المعالج .

* * *

س ٢ : فتى يشعر بحشرجة فى صوته وشىء فى حلقه رغم خلوه من المرض ؟

ج ٢ : هذه حالة نفسية تعترى بعض ذوى العزلة والانطواء فى المواقف الحرجة وعلى ملأ من الناس ، فيتلعثم اللسان ، ويضطرب الكلام . والعلاج التدريب على الكلام بصوت مرتفع فى خلوة ، ثم فى جماعة من الأقربين ، ثم فى الناس ، وممارسة الألعاب الرياضية واتخاذ الأصدقاء .

* * *

س ٣ : ألم فى الركبتين فى الليل فقط . ماهو وما علاجه ؟

ج ٣ : ضعف عام ، يفيده الراحة والهدوء والدفء وفيتامين (ب)

* * *

س ٤ : حالة تشبه الإمساك ولكنها بغير صداع . فما هى ؟

ج ٤ : الإمساك هو عدم خروج الفضلات يوما أو يومين حسب العادة . وليس حتما أن يكون مصحوبا بالصداع . فهل الحالة إمساك حقا ؟

س ٥ : أحب النوم الكثير ولا أكتفى بأقل من ١٢ ساعة فهل هو مرض ؟

ج ٥ : إن كنت بدينا أكولا كسولا فأنت مريض وعلاجك يسير . وإن كنت نحيفاً نشيطا فلا مرض وإنما هى عادة سيئة فاقلع عنها واشتغل بما ينفع . وكثرة النوم قد تفيد العاملين الكادحين ، ولكنها تضر الكسالى الخاملين .

* * *

س ٦ : طالبة بالمدارس الثانوية تشكو أنفها الضخم الطويل الأحمر .

ج ٦ : كثيراً ما يدل الأنف الكبير على الذكاء وقوة الشخصية فهو نعمة حين يقترن بالصحة والعلم والخلق والإيمان . وقلما يشكو صاحبه الزكام أو أمراض الصدر . وإذا كان كبر الحجم والحمرة بسبب التهاب طارئ فالعلاج سهل ، وأما إذا كان خلقة مشوهة فقد تغنى جراحة التجميل .

* * *

س ٧ : فتى عمره ٢٣ سنة يشكو منذ ٨ أعوام : يخرج بوله مشطورا شعبتين أول البول أحيانا . يكثر احتلامه فى سراويله ليلا بدون أحلام لذيذة . يفرز إحليله مواد سائلة وخاصة فى المساء . فحص هذه الإفرازات فظهر بها جراثيم كثيرة . عولج طويلا فلم يستفد .

ج ٧ : الجراثيم التى ظهرت فى الإفرازات شائعة لا تضر أكثر الناس وليس بينها جراثيم السيلان ، والإفرازات خالية من الصديد فلا التهاب إذن ولا مرض عندك . فقد بدأت هذه الإفرازات منذ أن بلغت فى سن ١٥ ، وذلك أمر طبيعى بعد البلوغ فاطمئن وانصرف إلى الرياضة البدنية والعمل المنتج حتى يتيسر لك الزواج .

* * *

س ٨ : ألم بفم المعدة عقب الطعام أحيانا . ما هو المرض ؟

ج ٨ : مرض المعدة أو المرارة ، وكذلك مرض القلب بعد الأربعين .

* * *

س ٩ : سيدة فوق الخمسين فشلت الأدوية فى تخفيض ضغطها العالى . تخشى نزيف المخ .

ج ٩ : لايصيب نزيف المخ أغلب ذوى الضغط العالى ، وإنما يصيب المرضى بتصلب الشرايين حتى مع اعتدال الضغط ، وقد يكون انخفاض الضغط المرتفع دليل ضعف القلب أو نذير جلطة المخ أو فشل الكلى ، فلا داعى للخوف .

* * *

س١٠ : عقيم قيل لها اغسلى المهبل بمحلول قلوى قبل الجماع فهل ينفع للحمل ؟

ج ١٠ : لا ينفع وقد يضر .

* * *

س١١ : طالب جامعى يشكو روماتزم القلب منذ الصغر ، لم يستفد بالعلاج ؟

ج ١١ : بعض هذه الحالات يعالج بالجراحة فى مصر اليوم .

* * *

س١٢ : تخشى الجراحة وتشوه الرقبة ، وتريد علاجا للغدة الدرقية .

ج ١٢ : الجراحة الدقيقة مأمونة العاقبة ولاتشوه الرقبة ، ويمكن العلاج بالأدوية ؛ وأحدثها وأحسنها اليود ذوالإشماع الذرى ، لأنه قد يغنى عن الجراحة .

* * *

س١٣ : ضغطه منخفض تعب فى علاجه بلاجدوى .

ج ١٣ : الضغط المنخفض طبيعى فى بعض طوال القامة ومرهفى الإحساس ، ولاداعى للعلاج وخاصة مع الاعتدال فى الحياة وترك التدخين .

* * *

س١٤ : سيدة لم تبلغ الخامسة والعشرين تخاف المرض وتتقيه بالأدوية ، وتحمل مفكرة ترصد فيها وزنها وضغطها كل أسبوع . مات أبوها بالسكتة القلبية ، ولزمت أمها فراش المرض بالسكر والقلب . قال الطبيب إن الضغط قتل أباها ، والبدانة أقعدت أمها .

ج ١٤ : أنت من خوف المرض فى مرض ، اتركى الدواء والمفكرة ، وانسى مرض الوالدين ، واذكرى أنك فى ريعان الشباب ، وكلى واشربى ولا تسرفى ، ولا تخافى ولا تحزنى ، وأبشرى بالصحة ؛ ومن توكل على الله شفاه .

باب الكتب: نقد وتعريف

١ — مذكرات الدعوة والداعية بقلم الإمام الشهيد حسن البنا ، نشر دار الكتاب العربى عام ١٩٥٣ م ، ٢٨٨ ص ك .

٢ — نظام السلم والحرب فى الإسلام للأستاذ مصطفى السباعى ، نشر لجنة الطلاب الجامعيين ببيروت عام ١٩٥٣ ، ٤٧ ص من القطع الصغير.

١ — مذكرات الدعوة والداعية

من العقبات التى تقوم أمام الباحث الإسلامى ، عندما يريد تأريخ رجل من رجالات الإسلام أو حركة من حركات الإصلاح الإسلامية ، ندرة المصادر الأصيلة التى لابد له منها ليستطيع الوصول إلى الحقيقة فيما يريد .

وقد يرجع هذا إلى حد كبير إلى قلة عناية المدد الأكبر من رجالاتنا ، فى الماضى والحاضر على السواء ، بكتابة « يوميات » أو مذكرات خاصة بهم وبما اضطلموا به . وحينئذ لا يجد الباحث بين يديه إلا ركاما من المصادر من الدرجة الثانية أو الثالثة ، المصادر التى قد يكون عسيرا نفى الزيف عنها واستخلاص الحقائق منها .

لهذا نحمد الله كثيرا على نشر هذا الكتاب الذى سجل فيه المغفور له الأستاذ حسن البنا بقلمه ابتداء دعوته الخطيرة فى مصر ، وما واجهته هذه الدعوة والداعية نفسه من صعاب وأحداث ، حتى آتت ثمراتها وأصبحت دعوة المسلمين جميعا فى مصر وغير مصر ، وبذلك يستطيع الباحث المؤرخ أن يسير فى طريقه على أرض مطمئنة ثابتة إلى ما هو بسبيله .

وما دمنا نتحدث عن « مذكرات » لا عن « كتاب » ، فليس لنا أن نتوقع تقسيما أو تبويبا علميا يحصر الموضوعات التى تناولها الكاتب بالذكر أو البحث ، وإنما هو سرد وتسجيل دقيق للأحداث التى أحاطت بالدعوة من أول نشأتها إلى أن استوت قوية تمضى قدُما إلى الغاية التى قدَّر الله تعالى لها ، وليس هذا التسجيل بالشىء القليل .

ومن هذه المذكرات نعرف (ص ٤ وما بعدها) كيف أحاط الله التلميذ « حسن البنا » برعايته منذ نشأته فوجهه للعناية بالأخلاق والتربية الروحية ، وكيف تهيأ له دخول مدرسة دار العلوم باللجوء لله وحده دون الاستعانة بسواه . كما نعرف كيف أنه كان بفطرته داعية للدين ، حتى إنه — وهو لا يزال تلميذا — قام على فكرة تكوين دعاة إسلاميين يمارسون نشاطهم لا فى المساجد وحدها ، بل فى المقاهى ، وقد نجحت هذه الفكرة مائة فى المائة كما يقول نفسه (ص ٤٤ — ٤٦) .

وبعد هذا ، نصل إلى الإسماعيلية ووحْيها حين صار مدرسا بها ، إذ بها وُلدت وتكونت جماعة « الإخوان المسلمين » منه رحمة الله عليه ومن ستة من إخوانه كانوا يتأثرون بالدروس والمحاضرات التى كان يلقيها (ص ٧٣ — ٧٤) . ونشطت الدعوة فى هذه المدينة ، وامتدت منها إلى ما حولها حتى شملت ذلك الجانب من القطر المصرى ، ثم صار أمرها يزداد قوة وانتشارا حتى انتقلت بانتقال صاحبها إلى القاهرة التى اعتبرت منذ ذلك الحين « المركز العام للإخوان المسلمين » .

وهنا يحرص الأستاذ (ص ١٤٥ وما بعدها) على تسجيل ألوان نشاط الإخوان فى هذه الفترة الأولى لانتقال الدعوة للقاهرة ، والمجلات التى أصدرها المركز العام للقيام بنشر الدعوة وتعاليمها ، كما نجد بعض المقالات التى نشرت فى هذه المجلات وكلها توجيه للإخوان وشرح وبيان لأصول الدعوة ومبادئها ووسائلها ، ومن هذه الوسائل المؤتمرات التى كانت تنعقد فى فترات منتظمة ، وقد كان المؤتمر الأول عام ١٣٥٢ هـ بالإسماعيلية .

هذا ، وليس من المستطاع ، فى هذا الحيز المحدود لهذه الكلمة ، أن نتم تحليل هذه المذكرات كلها ، وهى الوثيقة التاريخية الحافلة ؛ ولا أن نشير إلى كل ما حوته من إرشادات وتوجيهات للأستاذ الداعية الأول فى هذا العصر ، هذه التوجيهات التى هى ما يسير الإخوان عليه حتى الآن . وكذلك ليس من الميسور لنا أن نشير أيضا إلى ما اضطلع به فضيلة الأستاذ رضوان الله عليه من مهام وأعمال لفتت نظر العالم كله إليه وإلى دعوته ، وجعلت أولى الأمر فى مصر يقدرون خطر الدعوة وصاحبها .

ونكتفى ، إذن ، بأن نشير إلى خطابه الهام للرئيس السابق مصطفى النحاس

حين أعلن إعجابه بلا تحفظ بكمال أتاتورك (ص ٢٣٣ — ٢٣٤) ، وإلى المناهج والتوجيهات والمطالب التى تقدم بها مكتب الإرشاد إلى الزعماء والحكماء (ص ٢٣٥ وما بعدها)؛ ثم إلى المذكرة الصريحة الشاملة التى وجهها المرشد العام نفسه عام١٩٣٩م إلى رئيس الحكومة برأى الإخوان فى موقف مصر الدولى والإصلاح الداخلى (ص ٢٨٠ — ٢٨٦) ، وكان ذلك بعد إعلان الحرب الماضية بأيام .

وبعد ! هذه كلمة فى غاية الإيجاز عن « مذكرات الدعوة والداعية » ؛ الدعوة التى أصبحت عقيدة كل مؤمن بدينه ووطنه ، وصار القائمون بها هم الأمل المرجو للوطن الإسلامى والعربى كله ؛ والداعية الذى قدّم لدينه ووطنه ما ينوء بالعصبة أولى القوة ، فجزاه الله خيرا ورضى عنه وأرضاه .

* * *

٢ — نظام السلم والحرب فى الإسلام

عنى المؤرخون المسلمون ، وغيرهم من المستشرقين ، بالكتابه عن الإدارة والنظم الإسلامية التى بها ساد الإسلام والمسلمون وأفادت منها أوربا فى نهضتها ، ومن هذه النظم نظام السلم والحرب فى الإسلام .

وكان من البحوث الأخيرة التى نشرت عن هذه الناحية منذ بضعة أعوام رسالة لطيفة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر ، وعنوانها : آداب الحرب فى الإسلام .

واليوم نظفر ببحث قيم آخر عن هذا الموضوع لأخينا وصديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى وهو من نعرف تمكنه فى العلم وأثره فى الدعوة للإسلام ببلاد الشام وغيرها من الوطن العربى الإسلامى . وهذا البحث هو محاضرة ألقاها ببيروت هذا العام ، وكان لها أثر بالغ فى نفوس الذين استمعوا لها من رجال الرأى حتى رأوا من الخير نشرها للناس كافة ، وحسنا فعلوا .

وقد بدأ الأستاذ الفاضل حديثه ببيان الطريقة التى عالجت بها المسيحية مشكلة السلم والحرب ، والأخرى التى عالجها بها الإسلام (ص ٦ وما بعدها) . وأتبع هذا

بعرض مبادئ السلام فى الإسلام ، هذه المبادئ التى ترجع إلى أن الناس جميعا إخوة، وإلى أن الأديان السماوية كلها واحدة فى أصولها وأهدافها العامة ، فلا معنى إذاً لما يوجب الحرب بين أتباع هذه الديانات .

وبعد ذلك ، عرض للدعائم التى يقوم عليها نظام السلم الداخلى فى الأمة (ص ١٢ — ١٦) ، وإلى أن الحرب قد تكون ضرورية لتأمين السلم الداخلى والعالمى ، وهذا كان شأن الحرب فى الإسلام (ص ١٨ وما بعدها) .

فإذا كانت الحرب ، فلها نظام خاص بلا ريب يخفف من ويلاتها ، ومن ثمّ تكلم عن هذا النظام فى الإسلام ثم عن نظام الجزية (ص ٢٤ وما بعدها) .

وهنا نجد للسيد الأستاذ مقارنات بارعة ونظرات نفاذة إلى لبّ الموضوع ، وقد استطاع بذلك أن يدفع عن الإسلام فى هذه الناحية بعض الشبهات التى كثيراً ما أثارها غير المسلمين .

وأخيرا ، بعد أن بين واقع الحروب الإسلامية فى التاريخ بالإشارة إلى أسبابها وأهدافها ، ختم هذا البحث القيم بكلمة للفيلسوف الإيرلندى المعروف برناردشو يقول فيها بحق : « إن محمدا يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية ، ولو أن رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة إليهما » .

هذا ، والأستاذ الجليل يستند فى كل ماذهب إليه إلى القرآن نفسه وكتب الأحاديث الصحاح والإنجيل ، ثم إلى المراجع الأصيلة المعتبرة مثل : فتوح البلدان للبلاذرى ، والخراج لأبى يوسف ، وكتب السياسة الشرعية . وليس لنا ، بعد أن أفدنا من هذا البحث ، إلا أن نتقدم لكاتبه الفاضل بأن يتوسع فيه حتى يكون مرجعا شاملا فى هذا الموضوع يفيد منه الكثيرون .

الدكتور محمد يوسف موسى

مع العارفين

صفوان المازنى

هو صفوان بن محرز العابد الباكى . . . والعبادة والبكاء كلمتان ينفر منهما مزاج عصرنا الذى نعيش فيه ، لأنه لا يعرف عن العبادة إلا الطقوس البالية التى يراها ، أو التكاليف الجامدة التى فرضتها التقاليد ، ولا يدرك من أمر البكاء إلا أن سببه مصيبة أو ضعف ، ينزلان فيطردان أنس الحياة وبهجتها .

ولكن عبادة صفوان وبكاءه ، كانا من الطراز الذى لا يعرفه عصرنا المحروم ، ولو عرفه لعرف أى فقرهو فيه ، الفقر من القيم العالية التى يوحيها سر الحياة ، والتى لا تحدّها قوى الذرة ولا مخابر المعامل ولا سياسيات الدول ، و لاالموت ، إنها أقوى من هذه كلها لأنها وحى السر الذى أفاض الحياة ولا يزال يحكمها ، وأقوى من الموت لأنها وحى الذى خلق الحياة والموت . ! ! ثم ماذا لهذه القوى المحدودة بعد الموت ... بعد النهاية التى لا يملك أصحابها أن يفروا منها مهما ركبوا الهواء أو غاصوا فى الماء . إن بعد الموت خلوداً لا ينقص منه أنهم لم يقدروه ، ولن ينفعهم فيه أنهم تجاهلوه ، وهم صائرون إليه مهما علموا ومهما اخترعوا ، وإنها لجنة أبداً أو نار أبداً . . . أيهم الجاهل إذاً ، صفوان فى محرابه ، أم علماء الذرة فى القرن العشرين ؟ !

يقول عبد الله بن رباح : كان صفوان المازنى إذا قرأ هذه الآية « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » بكى حتى أقول اندق قصيص زوره !

ويقول غيلان بن جرير : كانوا يجتمعون فلا يجدون لقلوبهم رِقَّة ، فيقولون : يا صفوان ، حدث أصحابك فيقول : « الحمد لله » — ما يقول غيرها — فيرق القوم وتسيل الدموع من أعينهم كأنها أفواه المزادة !

***

ولم يكن صفوان الرجل الذى ينطوى على نفسه ويلق الحكمة لا يبالى بأحوال

من ألقيت إليهم ، ولكنه كان فى تربيته أستاذاً يجيد فنها ، ولا يضع علمه فى غير موضعه ، ويخاطب كل مقبل عليه بالطريقة التى تصلح له ، وإنك لتلمح ذلك فى القليل الذى ورد عنه . . . روى الربيع عن أنس أنه كان عند صفوان حين دخل عليه شاب من أصحاب الأهواء ، فذكر له شيئاً ، فقال له صفوان فى لهجة حازمة : أيها الفتى ، ألا أدلك على خاصة الله تعالى التى خص بها أولياءه ؟ يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وروى محمد بن واسع : رأيت صفوان بن محرز وأناسا فى المسجد قريباً منه يتجادلون ، فقام ونفض ثوبه وقال : إنما أنتم جرب ! !

***

وكان له من اعتزازه بالله صولة يرهبها أرباب السلطان ، ورعاه الله فى ذلك رعاية لا يظفر بها إلا الخالصون من أوليائه . . . يروى جعفر بن ثابت أن « ابن زياد » قبض على ابن أخ لصفوان فتحمل عليه بالناس فلم يبق أحد إلا كلمة فيه ، فلم تُقض حاجته ، فبات صفوان ليله فى مصلاه وهو يصلى ، فلما رقد أتاه آت فى منامه فقال : يا صفوان قم فاطلب حاجتك من قِبَل وجهها . قال : أفعل . فقام وتوضأ فصلى ودعا . يقول جعفر : فتنبه ابن زياد فى بعض الليل فقال : على بابن أخى صفوان . فجاء الحرس والشرط والنيران ، ففتحت أبواب السجن حتى استخرج ابن أخى صفوان فجىء به إلى ابن زياد ، فقال له : أنت ابن أخى صفوان ؟ قال نعم . فأرسله . فما شعر صفوان حتى ضرب عليه الباب ، فقال من هذا ؟ قال : أنا فلان تنبه الأمير فى بعض الليل فجاء الحرس والشرط وجىء بالنيران وفتحت أبواب السجون فخلى عنى بغير كفالة !!

***

وأسند صفوان عن عدة من الصحابة ، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعرى ، وعمران بن حصين ، وحكيم بن حزام ، رضى الله عنهم جميعاً. وكثير من الأحاديث التى رواها تشف عن قلبه النضر فيما تلقى وحفظ . . . روى عن قتادة : بينما عبد الله بن عمر يطوف بالبيت إذ عارضه رجل ، فقال يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ فقال له سمعته يقول :

يدنو المؤمن من ربه عز وجل يوم القيامة كأنه بذج[١] فيضع عليه كنفه ، فيقرره ، فيقول أي رب أعرف . فيقول أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ويعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » . قال سعيد وقتادة : فلم تجد أحداً خفي خزيه على أحد من الخلائق .

وروى عن حكيم بن حزام . قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم : « تسمعون ما أسمع ؟ فقالوا ما نسمع من شيء . . قال : إني لأسمع أطيط السماء ، ولا تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم[٢] » .

* * *

وقد كان تطلع صفوان إلى الغيب ، وتجاوبه معه ، أمرا يشغله ، ويعد له نفسه ، ويحاول أن يقتحم له الحجب ، يقول المعلى بن زياد : كان صفوان يقول : قد أرى مكان الشهادة لو شايعتني نفسي ! !

وروى حماد بن ثابت أن صفوان كان له خص فيه جذع ، فانكسر الجذع ، فقيل له ألا تصلحه ؟ فقال : دعوه . . فإنما أموت غدا ! !

وقد مات في غده ، رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) في النهاية : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج من الذل : قال البذج ولد الضأن — الحديث متفق عليه .

(٢) تفرد به صفوان عن قتادة وسعيد بن أبي عروبة .

في أفق العالم الإسلامي

* مؤتمر القدس
* نشاط أمريكا في العالم الإسلامي
* توجيه كريم لجلالة الملك سعود
* أفغانستان

المؤتمر الإسلامي العام لقضية فلسطين :

انعقد المؤتمر الإسلامي في القدس واستمر قرابة أسبوع ، وحضرته وفود كثيرة من أنحاء العالم الإسلامي ، من بينها شخصيات عرفت بفضلها وسابقتها في الجهاد لنهضة فلسطين وقضايا الإسلام كافة ، واتخذ المؤتمر قرارات أعلن بعضها وآثر ألا يعلن البعض الآخر ، وقال إنه سيترك للعمل أن يتكلم عنه .

وهذه هي القرارات التي أعلنها :

١ — اضطلاع الشعوب الإسلامية بقضية فلسطين واعتبارها قضية كل مسلم ، واعتبار الدفاع عن الأرض المقدسة فرض عين على جميع المسلمين ، لا يعفيهم منه إلا القيام بأدائه فورا ، كل بما يستطيع .

٢ — إعلان بطلان الوضع الذي أحدثه اليهود في فلسطين بما يشتمل عليه من تقسيم واحتلال ، واعتبار كل ذلك وما نشأ عنه من تشريد للمواطنين وغصب لحقوقهم اعتداء على حقوق المسلمين جميعا .

٣ — اعتبار الصلح مع إسرائيل أو التعامل معها خيانة يثأر لها ، واعتبار التفكير في تدويل القدس مؤامرة يقف العالم الإسلامي في وجهها .

٤ — طرح وسائل الاستخذاء والسلبية التي أثبتت فشلها ، وإعداد العدة ، وتعبئة القوى الشعبية للكفاح الإيجابي ، وتمكين اللاجئين من استرداد ديارهم وأموالهم . وإلى أن يتم ذلك يجب تحسين أحوالهم المادية ، وتربيتهم ، وتعليمهم بكافة الوسائل .

٥ — تكوين صندوق عام لقضية فلسطين ، وتدبير الأموال اللازمة له ، فيتولى وسائل الإنعاش الاقتصادي ، ومساعدة المشروعات الاقتصادية في المملكة الأردنية عامة وفي القدس خاصة ، والقيام بكل ما يلزم في قضية الكفاح العام وتنظيم لجان لتدبير هذا المال .

٦ — إنذار الدول المستعمرة التي أقامت إسرائيل ، وما تزال تسندها بعداء الشعوب الإسلامية كافة إذا لم تكف عن موقفها الجائر في قضية فلسطين ، وتوجيه الشعوب إلى حمل حكوماتها على الوقوف موقف العداء من تلك الدول .

٧ — جعل يوم ٢٧ رجب يوم فلسطين ، ويكل المؤتمر إلى مكتبه التنفيذي الدائم اتخاذ التدابير اللازمة لتنظيم ما يلزم عمله في ذلك اليوم ، وإذاعته بين المسلمين في أنحاء العالم .

وإلى جانب هذه القرارات أصدر المؤتمر توجيهات وجهها إلى الحكومات العربية والإسلامية هي :

١ — المطالبة بإحياء خط حديد الحجاز للعمل بين المدينة المنورة وعمان .

٢ — حث الدول الإسلامية على إنشاء تمثيل سياسي وقنصلي في القدس تابع لبعثتها في عمان .

٣ — مناشدة الدول العربية أن توجه الشركة العقارية العربية إلى العمل على إنقاذ ممتلكات المسلمين في القدس وغيرها مما تهدده أيد خفية للعمل على السيطرة الاقتصادية عليها .

٤ — مناشدة الحكومات الإسلامية لإدراك قبة المسجد الأقصى ، وقبة مسجد الصخرة المهددتين ، ومدهما بالمال اللازم لعمارتهما وصيانتهما .

هذا ما رأى المؤتمر إذاعته الآن من قرارات وتوصيات . وهو يرجو أن يكون العمل هو الذي يتكلم .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

وقد قام الأستاذ سعيد رمضان الذي انتخبته الوفود أمينا عاما للمؤتمر بجولة في الأقطار العربية للتعريف بفكرة المؤتمر ، ولتنظيم تشكيل فروعه ؛ فزار في الأسبوع الماضي مصر وسوريا ولبنان ، واتصل أثناء وجوده ببيروت بأعضاء اللجنة السياسية للجامعة العربية ، وذكرها بما قرره المؤتمر بشأن أية محاولة للمباحثة مع إسرائيل .

وقد انتخب المؤتمر قبل انفضاضه مكتبا تنفيذيا من سبعة أعضاء هم الأساتذة : محي الدين القليبي الزعيم التونسي ، ومحمد محمود الصواف المراقب العام لجماعة الأخوة الإسلامية في العراق ، ومحمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للاخوان المسلمين في شرق الأردن ، وسيد قطب الكاتب الإسلامي المعروف ، والفضيل الورتلاني ، وكامل الشريف من قادة المتطوعين في جنوبي فلسطين ، وسعيد رمضان — وسيقيم أربعة من هؤلاء في مقر المكتب الدائم بالقدس . وشكلت لجان من كبار الشخصيات الإسلامية لتطوف بالعالم الإسلامي لتذكير الشعوب بواجبها ولجمع المال اللازم للصندوق الإسلامي العام الذي تقرر إنشاؤه .

ومهمة المكتب دراسة مقتضيات القضية دراسة دقيقة ، والإشراف على تنفيذ المشروعات الاجتماعية والاقتصادية والإعدادية التي قررها المؤتمر . وهو يفهم أن قضية فلسطين لن تحل إلا على أرض فلسطين .

* * *

هذا ولا يزال أمين المؤتمر غير قادر أن يعود إلى القدس لمزاولة أعماله حتى تصله تأشيرة السفارة الأردنية بالقاهرة .

* * *

و « المسلمون » ترجو لهذا المؤتمر كل توفيق ، كما ترجو أن يصدق وعده في أن تكون الأعمال هي التي تتكلم .

* * *

نشاط أمريكا في العالم الإسلامي :

تبذل الولايات المتحدة الأمريكية نشاطاً ضخما في ميداني الشرق الأوسط والشرق الأقصى تستهدف من ورائه أن تحشد دول هذه المنطقة — ومعظمها دول إسلامية — في منظمة

عسكرية داخل نطاق الكتلة الغربية على غرار منظمة حلف شمال الأطلنطى ، ومن مظاهر نشاطها فى هذين الميدانين سلسلة اتفاقيات المعونة الفنية المعروفة باسم برنامج النقطة الرابعة لإعانة البلاد المتخلفة التى عقدتها فى الأعوام الأخيرة مع كثير من هذه الدول ، ومن مظاهره أيضاً ما أنشأته الولايات المتحدة من القواعد العسكرية الضخمة وخصوصاً المطارات فى كثير من هذه البلاد .

ونذكر فيما يلى بعض مظاهر النشاط الأمريكى فى هذا الميدان فى الأيام الأخيرة دون تعليق :

توالت فى الشهور الأخيرة زيارات رؤساء دول الشرقين الأوسط والأقصى للولايات المتحدة ، فقد زارها — بصفة رسمية — كل من الملك فيصل الثانى ملك العراق والسيد غلام محمد حاكم الباكستان العام ، ثم ملك اليونان ، وستتم قريباً زيارة رئيس جمهورية تركيا ثم رئيس جمهورية لبنان . .

ومن ناحية أخرى استهدفت دول هذه المنطقة لزيارات عدد من الزعماء والمسئولين وأعضاء الكونجرس والخبراء الأمريكيين، نذكر منها زيارة المستر ريتشارد نيكسون نائب رئيس الجمهورية الأمريكية ، الذى قام برحلة طويلة استغرقت ٧٠ يوماً ، وقطع خلالها ٤٢ ألف ميلا ، ورحلة المستر إدلاى ستفنسون المرشح الديمقراطى لرئاسة الجمهورية الأمريكية الذى طاف فيها حول العالم وزار معظم دول الشرق ، ورحلة المستر هربرت هوفر والمبعوث الشخصى للرئيس ترومان إلى إيران ، ورحلة المستر إريك جونستون المبعوث الشخصى للرئيس الأمريكى للدول العربية وإسرائيل على أثر حوادث الاعتداء اليهودية الأخيرة . .

وأهم هذه الزيارات وأبعدها أثراً هى زيارة المستر نيكسون نائب الرئيس الأمريكى ؛ فقد خلفت وراءها آثاراً هامة نلخصها للقراء فى هذه النقاط :

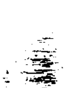
١ — زار إيران وبصحبته مستر هوفر مبعوث الرئيس ترومان والخبير فى شئون الزيت ، وتفاهما مع المسئولين فى إيران فى استئناف إنتاج الزيت وتصديره للأسواق العالمية ، وسعيا لديهم فى إعادة العلاقات السياسية بين إيران وبريطانيا ، كما بحثا معهم مركز إيران المالى والمساعدة المالية التى يمكن لأمريكا أن تقدمها لها . . . وقد نجحا فى مسعاهما فأعيدت العلاقات السياسية بين إيران وانجلترا يوم ٥ ديسمبر الماضى بعد أن ظلت مقطوعة حوالى ثلاثة عشر شهراً بسبب تأميم الحكومة الإيرانية لشركة البترول الإنجليزية فى عبدان ، وقد اعترفت بريطانيا بصنيع أمريكا فى برقية بعث بها المستر إيدن للمستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية يشكره فيها المساعى الحميدة التى بذلها الرسميون الأمريكيون فى طهران [وقد استنتج المراقبون من هذا أن انجلترا وأمريكا تفاهمتا على سياسة موحدة حيال إيران منذ حدوث الانقلاب الأخير الذى أودى بالدكتور مصدق ، وقد كانتا مختلفتين حول مسألة إيران قبل ذلك] .

كما أن الرئيس أيزنهاور أبرق إلى الجنرال زاهدى يؤكد نياته الطيبة نحو إيران بمناسبة زيارة بعثة « حسن النية » ! التى يرأسها مستر نيكسون لإيران ، وقد رد زاهدى يقول : إن هذه الزيارة قد عززت إيماننا بأن صداقة الولايات المتحدة صداقة بريئة خالصة من الشوائب مبرأة من الأغراض !

وبهذه المناسبة نذكر أن إعادة العلاقات السياسية مع بريطانيا قد صادف موجة من السخط الشديد ، فأعلن الإضراب العام فى البلاد وقامت المظاهرات الشعبية واصطدم بها البوليس والجيش

فوقعت حوادث دامية ذهب ضحيتها عدد من الطلبة الجامعيين ونفى بعضهم إلى جزر الخليج الفارسى ، ويوم وصل السفير البريطانى إلى طهران استقبل بالأعلام السوداء وشارات الحداد ، وقد شددت عليه الحراسة خوفاً على حياته . . . هذا وقد حكمت المحكمة العسكرية على الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة السابق الذى أمم شركة البترول البريطانية وقطع العلاقات السياسية مع بريطانيا — حكمت عليه بالسجن ثلاث سنوات . . .

٢ — كما زار المستر نيكسون الباكستان ، وتباحث مع المسئولين فيها فى عقد تحالف عسكرى بين البلدين يبيح لأمريكا إنشاء قواعد عسكرية بباكستان مقابل عون اقتصادى تقدمه لها ، وقد سمحت الحكومة الباكستانية لنائب الرئيس الأمريكى بأن يحلق بطائرته فوق ممر خيبر التاريخى لأول مرة ، متجها إلى عاصمة الأفغان ، وقد زار أيضاً إندونيسيا واليابان . والمفهوم أن أمريكا تقصد من وراء هذه الرحلة أن يقوم حلف عسكرى فى منطقة المحيط الهادى على غرار حلف شمال الأطلنطى . ويربط المراقبون بين زيارة مستر نيكسون لباكستان ورحلة السيد ظفر الله خان وزير الخارجية الباكستانية الأخيرة لعواصم دول الشرق الأوسط التى قابل فيها المسئولين العرب وتردد أنه يسعى لديهم فى تأليف حلف من الدول العربية والإسلامية . . وقد أحدثت أخبار الحلف العسكرى المزمع عقده بين باكستان وأمريكا ضجة كبيرة فى منطقة الشرق الأقصى وخصوصا الهند التى اعتبرته عملا عدائيا موجهاً إليها وصرح نهرو أنه يناقض الاتفاقية الهندية الباكستانية الموقعة فى أغسطس الماضى ، ولمح مهدداً بفسخها ، كما أعلن قبوله دعوة رئيس وزارة سيلان لعقد مؤتمر لرؤساء وزارات دول جنوب آسيا لبحث المسائل « الوثيقة بالمصالح المشتركة » ، كما أعلن وجوب إعادة النظر فى سياسة الكتلة الآسيوية الأفريقية وتوجيهها نحو خطة الحياد . وقد عرضت الحكومة السوفيتية على الهند أن تبيعها ما تحتاجه من أسلحة إذ ما سلحت أمريكا الباكستان .



٣ — ولم يفت مستر نيكسون أن يزور ليبيا ، وقد تفقد القواعد العسكرية الأمريكية فى ولاية طرابلس وخصوصاً مطار الملاحة الذى يعد أكبر مطار بالشرق الأوسط ، ويردد المراقبون أيضاً أن نيكسون سعى لدى المسئولين فى ليبيا لعقد معاهدة بين البلدين تتعهد فيها أمريكا ببذل العون الاقتصادى لليبيا نظير تمكينها من إنشاء قواعد عسكرية ، وذلك حتى لا تنفرد بريطانيا بالنفوذ فى هذه المنطقة الجوية ، ويرجع التراخى فى عقد هذه المعاهدة إلى ضغط انجلترا على المسئولين فى ليبيا .

هذا وقد قدم نيكسون للرئيس أيزنهاور تقريراً عن نتائج رحلته أوصى فيه أن تزيد الحكومة الأمريكية من نفقاتها وإعاناتها لدول الشرق الأقصى والأوسط ، وأن تسمح وتتعاون معها عسكريا حيث يوجد فى هذه المنطقة حوالى ٦٠٠ مليون من البشر لم يختاروا بعد الانضمام لإحدى الكتلتين .

هذا عن زيارة مستر نيكسون . أما زيارة إريك جونستون المبعوث الشخصى للرئيس الأمريكى للدول العربية وإسرائيل ؛ فقد حضر وفى جعبته مشروع لتنظيم استغلال نهرى الأردن واليرموك بما يعود بالنفع على العرب وإسرائيل ، كما تباحث مع المسئولين العرب فى عقد صلح مع دولة اليهود كخطوة أولية لإمكان تحقيق مشروعه . . وقد رفضت الدول العربية جميعها المشروع من أساسه لتضمنه اشتراط انتفاع إسرائيل به ، كما اجتمعت اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية فى بيروت ورفضت المشروع .

أما موقف أمريكا من النزاع المصرى البريطانى فما زال يتسم بالمراوغة ، وتقرر دوائر وزارة الخارجية الامريكية أنها ستؤيد الحل الذى يكفل « ضرورات الدفاع عن منطقة البحر الأبيض » .. وقد تأزمت العلاقات المصرية الأمريكية إثر تصريح البكباشى جمال عبد الناصر الذى نعى فيه على أمريكا خلفها لوعودها لمصر، وانقيادها وراء بريطانيا فى سياستها الاستعمارية . . وقد استدعت الحكومة المصرية سفراءها فى واشنطن ولندن وموسكو للتفاهم معهم فى الأسس الجديدة للسياسة الخارجية المصرية . . وتردد أن الحكومة المصرية قد طرحت على بساط البحث اتفاقيات النقطة الرابعة .

وقد عرض المسئولون الأمريكيون على الحكومة اللبنانية عقد معاهدة عسكرية بين البلدين . . ولم يتضح بعد موقف الحكومة اللبنانية . . . ومن المناسب هنا أن نذكر أن الحكومة الأمريكية سحبت المستر « هوليس بيتر » مدير برنامج النقطة الرابعة فى لبنان على أثر الاستجواب الذى قدمه أحد النواب فى البرلمان اللبنانى فى أول ديسمبر الماضى عن وجود جواسيس لإسرائيل بين موظفى إدارة النقطة الرابعة ، وأن بعض المشروعات التى تنفذها النقطة تفيد إسرائيل . . . وقد باشرت النيابة تحقيق الوقائع الواردة فى الاستجواب .

ولعل أنسب ما نختم به هذه اللمحات عن السياسة الأمريكية فى البلاد الإسلامية أن ننقل تصريحاً قاله السناتور « جيليت » عضو لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى : إن الحزب الديمقراطى — الذى ينتمى إليه — سيعارض سياسة حكومة أيزنهاور بتجديد معونة الدول الأجنبية حيث أن الحكومة الأمريكية تستغل معونتها للدول فى تهديد هذه الدول وإلزامها بتأييد سياستها جبراً عنها .

توجيه كريم لجلالة الملك سعود :

صرح جلالة الملك سعود لوفد الصحافة الأردنية التصريح القوى التالى :

إذا شاء العرب أن يحققوا آمالهم وأمانيهم فى وحدتهم فعليهم أن يتخلوا نهائيا عن سياسة الارتجال التى كانت السبب فى كل ما لحق العرب فى هذا العصر من كوارث ونكبات .

وذكر جلالته أن الشعوب العربية لم تقصر فى سبيل السعى لتحقيق وحدتها وسيادتها وبلوغ أمانيها، وإنما التقصير يرجع إلى الذين فى أيديهم مقاليد الأمور .

وقال : وإننا لنمد أيدينا إلى كل حكومة عربية ترغب فى السير معنا نحو تحقيق رغبات شعوبنا وفى سبيل ذلك نبذل أنفسنا وأولادنا وأموالنا لنتقدم الصفوف ونحن لا نطلب مقابل ذلك إلا الإيمان بالله وبهذه القضايا وبصدق العزيمة على تحقيقها وصفاء النية فى سبيل الوصول إليها .

وانتقل جلالته إلى الحديث عن قضية فلسطين فقال : إن الذى أطاح بفلسطين ومكن العدو من اغتصاب ما اغتصب من أراضيها هو الارتجال وانتفاء الإخلاص وصدق النية ، وإنى أقول هذا بمنتهى الصراحة ، ذلك لأننا إذا لم يصارح بعضنا بعضا فلن نستطيع سلوك الطريق التى تؤدى إلى استرجاع الوطن المسلوب؛ فنحن أمة تقدر بخمسين مليونا من السكان لديها من الموارد والقيم الروحية والثروة والرجال ما يؤهلها لأن تحتل مكانتها بين الأمم وتهيىء للعرب حريتهم واستقلالهم .

وليس بيننا وبين اليهود أية عداوة إذا هم تخلوا عن الديار التى اغتصبوها وأعادوها إلى أهلها ونحن لن نصبر على بقائهم فيها فإن الخطر الصهيونى كالسرطان لادواء له إلا الاستئصال. ومن الواجب أن نعمل بجد وصراحة وإخلاص لاستخلاص الوطن المسلوب من مغتصبيه . وأنا أعود فأؤكد أننا نحن هنا فى المملكة العربية السعودية لن نتردد فى بذل كل غال ورخيص فى سبيل تحقيق رغبات الشعوب العربية .

واستطرد جلالته فى الحديث عن العلاقات مع الدول العربية فقال : نحن أمة تحترم مواثيقها وعهودها ولكن يجب أن يعرف إلى جانب ذلك أننا نتفانى فى سبيل المحافظة على استقلالها وكيانها بين مجموعة الأمم .

وتحدث عن الوحدة العربية فأكد أن السبيل الوحيد إلى تحقيقها هو تضامن العرب جميعا تضامناً رائده الإخلاص والصراحة والصدق والبذل والتضحية .

أفغانستان :

أعلنت وزارة الخارجية البريطانية أن أفغانستان طلبت تعديل المعاهدة التى عقدت بين البلدين فى سنة ١٩٢١ .




وقال متحدث بريطانى إن هذا الطلب موضع دراسة وزارة الخارجية البريطانية وسترد عليه بمجرد انتهاء هذه الدراسة ، كما أنه سيكون موضع مشاورات مع الدول التى يعنيها الأمر وخاصة باكستان .

والمفهوم أن الحكومة الأفغانية قدمت طلب التعديل إلى السفارة البريطانية فى كابل منذ ثلاثة أسابيع .

وكانت هذه المعاهدة قد عقدت فى سنة ١٩٢١ فى أعقاب الحرب بين بريطانيا وأفغانستان لتعيين الحدود بين أفغانستان وبين الهند وقت إن كانت تابعة لبريطانيا وتبادل التمثيل الدبلوماسى وتنظيم العلاقات التجارية والجمركية . وتنص المعاهدة على أن مدتها ثلاث سنوات تتجدد من تلقاء نفسها مالم يخطر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته فى إلغائها قبل انتهاء المدة باثنى عشر شهرا .

والمعتقد أن طلب تعديل المعاهدة يؤثر فى مسألة الحدود بين أفغانستان وباكستان . والمعروف أن العلاقات بينهما توترت بعض الشىء خلال الأعوام الأخيرة بسبب ما تردد عن رغبة أفغانستان فى إقامة دولة مستقلة باسم باتانستان على الحدود بين البلدين ، وقد عارضت باكستان ولا تزال تعارض بشدة فى هذه الفكرة .

وأذاعت سفارة أفغانستان فى القاهرة ، أن أفغانستان لم تطالب قط بفصل شعب البلوخ الباكستانى عن باكستان ، وإنما كانت تؤيد الشعب الأفغانى فى باكتونستان الذى كان ومايزال يطالب بتقرير مصيره .

وقالت السفارة أيضا إنه منذ سبع سنوات وأفغانستان تطالب بإجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين باكستان . . ولكن شيئا من ذلك لم يتم .

last long. "Do men imagine that they will be left (at ease) because they say. We believe, and will not be tested with affliction?". But, after all, God has promised that He will assist those who struggle and do good "O ye who believed! Shall I show you a commerce that will save you from a painful doom? .... Then we strengthened those who believed against their foe, and they become the uppermost". And now my brethren, are you resolved to be defenders of the cause of God?

Muslim Brothers, listen: I have striven, by means or these words, to place your message before you. Perhaps we may have a critical period of time during which we will be separated from one another. If this happens, I will not be able to talk or write to you. Therefore, I advise you to understand and heed these words, study them and join ranks around them, for each word carries several meanings.

Brothers: You are not a benevolent society, nor a political party, nor a local organization having limited purposes; rather, you are a new soul in the heart of this nation to give it life by means of the Qur'an; you are a new light which shines to squander the darkness of materialism through knowing God; and you are anechoing voice rising to recall the Message of the Holy Prophet-may God's mercy be showered on him. You should regard yourselves the bearers of a burden which all other people have given up. When asked what it is for which you plead, reply that it is Islam, the Message of Muhammad, the Religion which contains within its frame the State, and has, as one of its obligations, Freedom. If you are told that you are political, answer that Islam admits no such distinction. If you are accused of being revolutionaries, say, "We are voices for Right and Peace in which we dearly believe. If you rise against us or stand in the path of our message, then we are permitted by God to defend ourselves against your revolution and your injustice". And then if you are suspected of seeking the aid of individuals and organizations, say "We believe in God only and regect all that you used to associate with Him". If they insist on pursuing their oppression, repeat the Holy Speach: "Peace be unto you! We desire not the ignorant".

THE OBSTACLES IN OUR WAY

by

The Martyr Hasan El Banna

Translated by Hussein El-Gayyar (*)

Brothers..... I would like to avow to you that your message is yet unknown to many people and that when they know it and recognize its purposes, they will meet it with the severest opposition and the cruellest enmity, and you will be obliged to face numerous hardships and obstructions. At that time only will you have begun to march the roads of the standard bearers of missions. But now you are still unknown and you are still clearing the way for the message and preparidg yourselves for the struggle and strife it will demand of you. The common people's ignorance of the reality of Islam will stand in your way. You will discover that from among the people of religion and the official 'Ulema some will consider your understanding of Islam a strange thing and deny your struggle on its behalf. Leaders, as well as people of rank and title will spite you. The various governments will obstruct you and each of them will attempt to hinder your activity and block your progress.

All of the adverse aliens will exert every effort to restrain you and to extinguish the light of the message you bear. They will manage to win the help of weak governments, weak morals, and the hands stretched out, towards them for begging, and towards you for evil and aggression. All will excite suspicion and unjust accusations against your message and attempt to give the people an ugly picture of it and attribute to it every defect, depending in this on their power, influence and money:

"Fain would they put out the light of Allah with their mouths, but Allah will perfe his light however much the disbelievers are avers".

Undoubtedly, that will lead you to the stage of trial and test. In that stage you will be imprisoned, detained, transferred and dispersed; your interests will be confiscatsd, your special activities stopped, your homes searched; indeed, your period of trial may

---

(*) See: Al-Muslimoon, Vol. II p. 660: (وصية ملهم : العقبات فى طريقنا)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

"Indeed, we have created man in the best of moulds".

If our stumbling has not been due to an inherent defect within our very nature, then our fall must have been caused by either of the two reasons; We might be moved by a deliberate intention to disobey or we might be virtually disobeying by misusing or abusing our natural constitution, which natural constitution, if properly used, is by God's own testimony sufficiently capable to put us easily on the right path. God says:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا .

"On no soul doth God place a burden greater than it can bear".

In the composition of our existence enter two elements. One is that which has been indicated in the injunction:

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

"He (God) began the creation of man with nothing more than clay, and made his progeny from the quintessence of the nature of a fluid despised".

The other is mentioned in the immediately next injunction;

وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ .

"and breathed into him something of His Spirit".

Each one of us is a mixture of these two parts and each of the two parts has its rights and functions. To be complete and perfect you have to be kind to both, to your clay as well as to your spirit. That is why God said while inviting infidels to believe:

آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ .

"Believe as men have believed".

And "men" here cannot mean anything but "true-men" since through faith their manhood has been perfected. So also, while praising "believers", God says:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .

"Among the believers are men who have been true to their covenant with God".

(to be continued).

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 3 —

Warn ng

Is it not surprising to find ourselves far below that standard to which we ought to have aspired ? Is it not a shame to find when looking over the conditions of humanity everywhere in the world that this very reality of life, this very object of creation, this very mainspring of all good is so frequently overpowered by abominable motives, wicked desires and vicious lack of self-control ? Is it not a disgraceful bankruptcy that human efforts are deluding man far away from the single aim of his being and leading him to an awful abode ? What a terrible warning we neglect by doing so ! For God says :—

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ .

"The companions of the Hell will call to the companions of the Heaven. Pour down to us water or anything that God doth provide for your sustenance. They will say : Both of these things hath God forbidden to those who rejected Him, such as took their religion to be mere amusement and play and were deceived by the life of the world. That day shall We forget them as they forgot the meeting of this day of theirs, and as they were wont to reject Our Signs".

But what is the matter with us ?
What-makes us forget so easily and go so far ?

Back to Ourselves

Yes, back to ourselves, my dear, and let us stand for a while to think and ralize. From here we have to begin. Is it a defect in the very nature of our being that made us stumble down ? Of course not, for God has already said ;

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العـــدد

صفحة

أواصر الجماعة المؤمنة ... ... لرئيس التحرير ١

العلوم والسنن الإلهية ... ... لأبى نبهان المهاجر ١٣

اليهود فى القرآن ... ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ... ١٦

مدنية الإسلام ... ... لسماحة السيد عبد الله كنون ٢٤

يا ابنى ! ... ... للأستاذ على الطنطاوى ٢٧

فى ظلال السنة ... ... للأستاذ عبد الوهاب حموده ٣٤

خاطرة : دين أغاخان ٣٩

من فقه القرآن والسنة ... ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ... ٤٠

قلم التسجيل ... ... الإمام الشهيد حسن البنا ٤٥

الإسلام والعلاقات الدولية ... ... للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى ٤٩

من ملامح هذا الدين ٥٦

كارثة فلسطين ... ... للاستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس ... ٥٨

المشرك الأول : قصة تمثيلية ... ... للأستاذ على أحمد باكثير ٦٣

إقتصاد أعرج ... ... للأستاذ محمود أبو السعود ٧٣

داعية ... ... للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى ٧٩

الحجاب ... ... للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى ٨٢

إن لبدنك عليك حقا ... ... للأميرالاى الدكتور أحمد الناقه ٨٨

باب الكتب : نقد وتعريف ٩١

مع العارفين : صفوان المازنى ٩٥

فى أفق العالم الإسلامى ٩٨

What Are You? . . . . By the Editor 1

The Obstacles in Our way By the Martyr Hasan El-Banna 3

الفهرس ١٠٨

مطابع دار الكتاب العربى بمصر